خلف
الجدار
رواية حائزة على جائزة " المبدعون"
للرواية العربية – الامارات – 2002
عبد الباقي يوسف

© حقوق النشر الإلكتروني محفوظة ل

www.nashiri.net

© حقوق الملكية الفكرية محفوظة للكاتب

نشر إلكترونيا في أغسطس 2003

أولج راجي عبد الكريم رأس المفتاح الأصفر الصغير في ثقب القفل البارز دسّه قليلاً ثم حرّك اصبعيه باتجاه اليمين، فانفرج الباب الصغير إثر طرقةٍ، أرسل بصره إلى الداخل تراءت رسالة مستلقية على ظهرها، ترك كفه المعلقة بالمفتاح ومدها إلى الجسد الممدّد سحبه كما يسحب الطفلُ عصفوراً من عشه وعلى عجل دسها – دون أن ينظر إليها – في جوف كتاب مستقر في إبطه عاود قفل الباب الصغير بحركة ميكانيكية وهبط درج مبنى البريد متجهاً صوب موقف باص النقل الداخلي، تراءى له حشد كبير في الموقف عندئذ خطر في باله أنه ينتمي إلى شريحة يمكن لها أن تلتقي بسهولة في هذا الموقف وفي أوقات محددة. تأمل وجوه النساء المتقدمات في السن الخارجات للتو من الدوائر الحكومية، هي القامات البشرية ذاتها التي تتراكم في هذا الملاذ في ذات الوقت باستمرار .

استدار إلى الخلف مسح وجوهاً بائسة لنساء في أواخر أعمارهن يجلسن على الرصيف المهترئ وينادين بأصوات كئيبة متداخلة: سكر.. شاي.. سمنة.. دخان. أطفال حفاة نصف عراة على الأغلب أحفادهن يصيحون بين وقت وآخر نيابة عن جداتهم، يتحسس بكف على كتفه، يستدير يقع بصره على وجه امرأة ثلاثينية تحمل بيدها قمّاطاً يبرز من أعلاه وجه إنسان رضيع تمد إليه ورقة يتناولها، يقرأ: انقذوا هذه المرأة من الجوع.. أنقذوا رضيعها من الموت.

يعيد الورقة إليها، يدس يده في جيبه يحصها بورقة نقدية تتناولها المرأة وتمضي.

يحس بسائل حار يتضرج من جبهته:

سترتمي على الرصيف يا راجي أسند ظهرك إلى عمود الموقف.

- الاستسلام إلى العمود خطوة أولى من خطوات الاستسلام النهائي أنا أدرك هذا جيداً لا شيء البتة هذا يسببه سوء التغذية وقلة النوم، معدتي تعتصر جوعاً الشهر

هو الثالث لم أذق فيه اللحم أو حبة فاكهة مرضي هو الجوع، الجوع فقط وعندما أشبع أشفى.

- مرضك في الأعلى يا راجي في الجمجمة، التفكير المتواصل يذيبك، يعطب أعضاءك.

- أتريد لعقلي أن يصدّي لقد أتى ليعمل.. وإلاّ لِمَ يمتصّني.

- أنت تحمّله أكثر مما تعطيه أعضاؤك ترتجف الآن ولا تحتمل شراسة هذا الفعل غذها وتمتع بلياقة بدنية عندئذ لن ترتجف أمام العقل عندئذ ستستجيب له وتتضافر معه.

- سأفعل شيئاً ما لديَّ إمكانات مادية سأفكر بكيفية جلبها أشعر حقيقة بأن جسدي يذوب جوعاً يحرقه فتيل التفكير.

- ماذا ستفعل ؟.

- لنفكر معاً أعنّي على الإفتكار.

- الآن أنت في الشارع، التفكر هنا ليس مناسباً بالإضافة إلى كونك في حالة نفسية وجسدية غير مهيأة أنت منهك أخشى الآن وقوعك على الأرض.

- سيبقى الاستناد على العمود خطوة ما قبل الوقوع على الأرض وأنا الآن قوي لأنني لم أصل إلى خطوة "الما قبل" الجرباء هذه.

- أقترح أن تمشي ما رأيك؟.

- اتفق معك لأفترض أن دواليب الباص انفجرت أو أغمي على السائق أو شُلَّ الباص عن الحركة لن انتظره يوماً كاملاً، أمشي أقرب من أن انتظر وإذا جاء سأصعد في موقف آخر.

باصات حدباء مخلفات الحرب العالمية الأولى أصلحوها ودفشوها على غروبنا ننتظرها ساعتين لُتركبنا نصف ساعة وفي نصف الطريق تقرر هي أن تركبنا عندما تقذفنا لندفعها حتى اللهاث.

رفع رأسه وألقى نظرة فاحصة إلى آخر الشارع، لم ير شكل الباص وقرر المسير مكرهاً، رفع الكتاب إلى الأعلى في محاولة فاشلة لحماية رأسه من أشعة الشمس الملتهبة. إلى أين أمضي إلى أي جهة كل الجهات تأخذني إلى مكان واحد مرعب أمشي بالرغم عني شيء ما لا بد منه الآن سيرميني هذا الصراع إلى صراع أشد قسوة، سأجلي الصحون أنظف البيت أمضي ساعة في إحضار الغداء أستحم أبدّل ثيابي أبحث عن لحظة استقرار واحدة ولا أجدها، لدي رغبة مغلية في أن أتمدد الآن على ظهري في مطرح رطب وليكن قبراً، أنام شهراً كاملاً ألبث غافياً راحة الجسد لذة يمكن للمنهك أن يتذوقها مثلما يتذوق أعظم لذة جسدية.

- احذر يا راجي لا توشك على الاستسلام للأهواء لقد كانت طفولتك سيئة احذر ستقع بسرعة وتدمر مستقبلك الذي لا شيء لك غيره، أنت قابل للسقوط أكثر من غيرك لا تستسلم لرغباتك قدها أنت مثلما يقود الراعي الماهر قطيعه، لا تدع القطيع يقود الراعي.. ليس الرزء في لحظات الاستمتاع إنها ستعكس على سلوكك في الحياة هل تريد أن تكون حماراً ؟.

- يكفي ما قلته لي متى سينتهي هذا الصراع ولصالح من سينتهي تُرى أ أنت على صواب أم أنا تُرى أتتألم مثلي؟.

الآن أريد شيئاً واحداً هو الوصول إلى البيت.. كلاب سفلة ثلاثمائة ألف سيارة تمشي في المدينة ولا واحدة تتمهل لتوصلني، لتنقذ دماغي من هذا الغليان. هل عليَّ أن أتحول إلى كلب لأركض وأقفز إلى مؤخرة أي شاحنة، في أي مدينة بائسة أكون لو تحولتُ إلى أرنب لما لبثتُ خمس دقائق على الأرض. قدماي تعبتا من حمل جسدي الذي أصبح بوزن جبل، لدي رغبة في الاستلقاء الأبدي في هذا المكان سأقع بلذة.

- أحذّرك أيها الرجل ستقع على الرصيف الناري وستحترق ثيابك بعد دقيقة واحدة.

- فقدتُ الأمل بمد خطوة أخرى لا جدوى كل معنوياتي انهارت الإنهاك يقضي على حواسي.

- يا راجيي ألم تنضج بعد أي مفهوم خاطئ هذا الذي تتبعه في هذه اللحظة البائسة من عمرك هذا هو العيش الحقيقي المناضل هو أنت.

كن شجاعاً يا راجي، كن واثقاً، كن قوياً. الأفعال العظيمة تحتاج إلى قوة لرفعها، كما أن الأفعال المنحطة تحتاج إلى ضعف لإنحطاطها.

هل تريد الجلوس في مملكة، ويأتيك ما تريد بالضغط على زر صغير، من خنصرك لتكون مناضلاً وتعيش الحياة الألم هو الذي يصنعك، الحرمان، الجوع، الحاجة، الفاقة، المرض. المرفهون ماذا بمقدورهم أن يقدّموا للحياة ماذا بمقدورهم أم يقدّموا لأنفسهم يخرجون من الحياة دون أي شيء، إنهم المفلسون الحقيقيون. أنت المناضل يا راجي هل ستتخلى عن حياتك كلها وتركض خلف الشهوات، أحلامك.. عظمتك.. كبرياؤك.. مبادؤك. تذكر يا راجي الأطفال الصغار الذين يشترون أشياء لحظاتهم من أقرب دكان صغير بأقل قطعة نقود قيمة.

السعادة الحقيقية لا يدركها إلاّ من بلغ به الحزن أقصى مراحله هناك فقط يستنشق شيئاً ينعشه لأول مرة. الثراء الأكبر الذي لا يبلغه مخلوق يكون في آخر خطوة من خطوات الفاقة، عندئذ عندما تغدوا أفقر رجل على وجه الكرة الأرضية، ستشعر بأنك أغنى رجل في العالم وسيحسدك أغنى رجل في العالم على ما توصلت إليه من ثراء، والراحة العظمى تختبئ في آخر مفصل من مفاصل الإرهاق عند ذاك عندما قدماك توقعان جسدك إرهاقاً، وأبهى امرأة هي تلك التي تولد في الذاكرة تلك التي تقبع في الذاكرة الأبدية تلك هي أبهى امرأة على وجه الأرض إنها تقبع في ذاكرتك، الصحة العامرة تتسرب إليك في لحظات تخالها الأخيرة من عمرك وتلوّح بروحك للوجود هناك في آخر رعشات الاحتضار لأول مرة تنفتح شهيتك على الحياة وتعانقها بعروقك عندئذٍ فقط بمقدورك أن تعيش أسمى قيم الإنسان في حواسك ولأول

مرة ينتحر الشر على وسادة روحك، لأول مرة ينتصر الخير وينهزم الشر لأول مرة تكون إنساناً نقياً وتتطهر من أي ازدواجية وعندئذ ستدرك لأول مرة في تاريخ حافلتك أن روح الله تسكنك وأنك رائحة منه انك صورة منه، عندئذ تقترب إليه وتناديه وتلمح الله لأول مرة يركض إليك، وتلمحك تهرول إليه.

في تلك اللحظات المفعمة بالنورانية الجليلة والقداسة ستدرك لأول مرة معنى الإنسان فيك وستعقد على الإنسان آمالاً لم تخطر ببالك من قبل، انظر يا راجي إنني أعلمك قيماً:

الشهوة إقبال على الحياة

الشبع يغتال الشهوة

لا تقتل الحيوية فيك

الشهوة تمنح أكثر من الإشباع

معاناتك هي حياتك في هذا الدرك المظلم من الحياة هي الذكريات الكبرى التي ستأخذها معك عند الرحيل الأبدي. ليكن مفهومك إلى الله أوعى أنضج لا ترتكب حماقة عظمى بمفهوم مبتور. إحساسك بالموت تمهيد لموتك كاملاً إحساسك بالحيوية يحطّم احتمال أي موت ثق في لحظات الإنهاك المدهشة هذه بأن الله دوماً على صواب سر باتجاه بيتك بثقة يا راجي تقافز كما الأطفال الصغار الذين يسيرون مع أمهاتهم يوم وقفة العيد هيا يا راجي ابتسم من عمقك ليشرق وجهك بنور الإنسان هيا احلف برؤوس العصافير التي تزقزق كل صباح على حائطك هيا احلف لي بأنك لن ترتكب الحماقات مرة أخرى أنت أوعى يا راجي لم يسبق لك أن صفعت مخلوقاً في عمرك لم تحقد على أحد حتى في غرفتك عندما ترى حيواناً ضاراً تتحايل عليه وتحمله إلى الخارج في الشتاء تبحث له عن مكان دافئ لا يصله مطر كم مرة خرجت ساعات الليل لتقذف نملة أو صرصوراً لا تستطيع أن تقتل مخلوقاً أو تتسبب له بلحظة رعب

واحدة، لأنك تعتبرك مسؤولاً عن لحظة مطاردة وخوف واحدة تسببها لهذا الحيوان الصغير الضعيف الذي تسرب إلى غرفتك جوعاً وبرداً لتحميه وتهتم به.

وصل راجي عبد الكريم بن بدران أمام باب الحوش.. وبمحاذاة الباب الذي يليه لمح عجوزاً حنواء تصوّب نظرها إليه، نظر إليها وتذكر في لحظة وجه أمه نظر في حزمة المفاتيح التي اعتاد أن يبقيها في كفه طوال خروجه من البيت ومع إدخال مفتاح إلى الثقب انفرج شق واحد من الباب الحديدي المصدّي، دلف جسده بسرعة وأعاد قفل الباب من الداخل، مضى إلى الغرفة نظر في المرآة اشتهى أن يشرب ماءً بارداً وتذكر بأن قيمة البراد تتجاوز عشرة آلاف ليرة وتخيّل أن يشتري تلفزيوناً وما يلزمه من أدوات منزلية وعرف للتو بأنه حتى لو كانت نتيجة المسابقة إيجابية لن يتمكن من شراء ما يلزمه إلا بعد خمس سنوات عمل وعرف أيضاً بأن مجرد التفكير بالزواج يحتاج إلى عشر سنوات أخرى من العمل بالإضافة إلى الخمس سنوات الأولى وهو الآن في الخامسة والعشرين فيستطيع الزواج في سن الأربعين ولو لم يكون وحيداً لألزم للالتحاق بالخدمة العسكرية وأمضى سنتين ونصف وربما كان عندئذٍ سيقترب من سن الخمسين حتى يهيئه وضعه الاقتصادي من الزواج ولم يكن يرى أكثر من أرملة لها خمسة أولاد وتماثله في السن. في لحظات ما يجب أن يفكر المرء في مستقبله الشخصي وهذا من حقه. وخطر لراجي أن هذه اللحظات هي الأنسب لتفكير خاص من هذا النوع تذكّر فتاة في الربيع العشرين، وتخيل التلفزيون والبراد ومكتبة جيدة لكتبه بدا له للوهلة الأولى بأنه أناني.. لكنه تحدى هذا الشعور واصل التخييل وهو ينظر إلى المرآة، هذا البيت كله سيأخذ شكلاً أفضل هذا من حقه من حق أي إنسان أن يفكر في تحسين وضعه الصحي والمعيشي هذه ليستْ نرجسية ولهذا اتجه تفكيره إلى القرية وإلى حقه من حصة أبيه في الأرض الزراعية التي بقيتْ في أيدي عميه بكر وعابد بعد وفاة أخيهما بدران بالجلطة الدماغية منذ سنتين.

تزحلق الكتاب من إبطه ووقع على الأرض برز نصف مظروف الرسالة أزمع على قراءتها بعد الغداء خلع ثيابه تعرّى تماماً وخرج إلى الحوش دخل المرحاض رفع الخرطوم إلى رأسه وفتح الحنفية: أح.. أح.. أح.. ددد.. ح.. ح.. أنا بردان. انتشر صوته في الحوش الصغير وربما امتد إلى حوش جده وخرج من المرحاض وقف تحت الشمس تنشّف بأشعتها وهرول إلى الغرفة ارتدى الجلباب النصف كم وأشعل المذياع الجيبي الصغير الذي يعمل ببطاريتين اصبعيتين كان قد اشتراه في الجامعة: مرة أخرى سأطبخ الرز لا شيء غيره هذه المرة لن أفشل في صنعه سأعمل بما قالته لي المرأة المتسولة في الموقف سأغلي إبريقاً من الماء وأسكب فيه الزيت والملح وبعدها أخفت النار وأضع فيه نصف إبريق رز وأدعه يتشرب الماء والزيت وينضج عندئذ سيكون جاهزاً لهذه المعدة التي تعتصرني جوعاً.

سأشبع.. وسأقرأ الرسالة...

أعد راجي الوجبة البيضاء وقرفص على الأرض شارداً.

ها هو الإحساس المؤلم بالضياع يترك ذاكرتي وحواسي هذا هو بيتي وسأمضي كل عمري هنا، سأعيش بعيداً عن العالم.وسأنسى مسألة المسابقة، الوظيفة ستأكل عمري إنها فارغة أمر مقرف أن تنفق كل حياتك من أجل إملاء معدتك أنا أرفض هذا النمط من الحياة وسأفكر بمصدر آخر يسد جوعي يكفي لقد درستُ سبعة عشر سنة، منها خمس سنوات في الجامعة وتخرجتُ مهندساً أي شيء يعني لي هذا اللقب "أنا مهندس" هل يعني هذا بأنني سأحصر كل اهتمامي بالهندسة ؟! هناك ما هو أهم هناك الحياة التي تنتظرني والتي ستهملني إن لم التحق بها مثلما أهملتْ الملايين من قبلي أفهم شيئاً واحداً الآن هو أنني لن الزم نفسي بوظيفة، الالتزام يعني الموت الالتزام يخنق الحرية حتى لو كانت معدتي مليئة.

أنا الآن أمارس الحياة بكل لحظاتها لا أترك ولا لحظة واحدة تفوتني وهذا الفهم المريح يمنحني الشعور الأعمق بالحرية أنا الآن حر بكل حواسي.. يا للحرية إنها

أثمن من الماء والهواء ورغيف الخبز أستطيع أن أعيش بالحرية وحدها يا للحرية الرائعة صباحاً سأفطر حرية ولن أجوع، الحرية تعلمني أكثر مما يعلمني السجن إنهم السجناء الحقيقيون في قصورهم أولئك الذين يسجنون مواطنيهم ليس هناك أفضل من الخلاف في وجهات النظر والآراء، وليس هناك أسوأ من التبعية والعبودية والاتفاق القسري بالإجماع وأفهم في لحظات الحرية هذه أن الحرية لا تفتش عن واحد إننا إذا أردنا ليس فقط نبحث عنها بل نصنعها أيضاً، الحرية تبقى كالشمس قد تغرب لكنها ما تلبث تشرق. عندما أعجز عن ممارسة الحرية الفعلية أمارس الحرية الفكرية والحرية الفكرية هي الإشارة الأولى لممارسة الحرية العملية.

العيش في عزلتي هذه في قلب المدينة يتيح لي ما كان معرفته مستحيلاً بالنسبة لشخص يعيش في قرية ما على هامش الرؤية الحقيقية لجوهر الحياة أذكر الآن وهم يزرعون الشكوك في طريقي: "أي شيء يمكن لهذا اليتيم أن يفعله سوى أن يكون راعياً فاشلاً في الحياة، المصيبة أن بدران يريد أن يبعثه إلى الجامعة"! يحطمون معنويات المرء هناك بفهمهم القاصر للحياة، كانوا يراهنون على "جنوني" ولكن لم يأتِ الحدث الذي يكشف النقاب عن هذه الحقيقة.

"كيف يا بدران ترسله إلى العاصمة ستأكله الفئران سيضيع في زحمة العاصمة سيموت تحت السرير ولا يحس به أحد قبل أن تفوح رائحة جثته". حتى عمي كان يراهن على طفولتي إلى أنني بقيت طفلاً حتى في نظر والدي وأصررت على العاصمة مثلما أصررتُ على الثانوية. تعاركت مع أبي.. أذكر هددته بالهرب إلى العاصمة والتسول هناك لقد أرغمت عليه الموافقة وكان لي ما أردت، لم استسلم لقد تحديت الجميع وانتصرت الآن أشعر بالحرية، أقطف ثمرة ذاك الجهد وذاك العراك والإصرار لم أبق راعياً فاشلاً هذه هي نتيجة جهودي أنا لست فاشلاً في حياتي ورغم نجاحي فإن تربيتي السيئة تعكس أحداثاً سلبية على حياتي الآن ولا أستطيع التخلص من تلك التربية السيئة ولا أستطيع تجنب هذه العواقب التي ترغم نفسها على سلوكي بعض

الأوقات ولكن لن أيأس وسأكافح من أجل التغلب على كل ما هو سلبي في حياتي، وسأتجرد من تربيتي القاسية تلك التربية التي تحتل كل لحظة من لحظات حياتي حتى هذه اللحظة تلك التربية السيئة التي كانت "بذرتي" بسبب سوء وجهل والدي لأصول التربية.

ليس بوسعي التجرد من طفولتي، الطفولة أسمى مرحلة في حياة الإنسان وحدهم الطغاة القتلة الذين يحجزون حريات إخوانهم، ويحرمون الأطفال من آبائهم وأمهاتهم، وحدهم لم يسبق لهم أن عاشوا طفولتهم ذات يوم، ولدوا كباراً ولدوا أشراراً ولم تسكنهم الطفولة لم تعرف طريقاً إليهم وحدهم طغاة العالم لم يكونوا أطفالاً ذات طفولة لم يعيشوا نور الطفولة.

رفع راجي رأس الغطاء وألقى بنظره إلى الوجبة البيضاء الناصعة بدا له بأنها طهت أطفأ الغاز وملأ صحناً، لأول مرة لا يشبه العجين إنه بفضل تلك المتسولة.

راجي الابن الأول للسيد بدران وللسيدة سامية التي اضطرت للهرب مع السيد بدران الشاب الثلاثيني الذي يتردد إلى البيت الذي يلي بيتها في قلب المدينة وأرقى مساكنها في شهري تموز وآب من السنة ففي شهر تموز يأتي لقبض فواتير محصول الأرض ويراجع الدوائر الزراعية بموجب الوكالة من أخويه بكر وعابد. وفي شهر آب يعمل في تجديد معاملة ترخيص زراعة الأرض وما يترتب عليها لزراعتها للسنة القادمة ليحصل من المصرف الزراعي على البذار والسماد والمبيدات. منذ ثلاث سنوات اتفق مع أخويه لشراء هذا البيت في أرقى مساكن المدينة، ويحتوي على ثلاث غرف مشيدة من الإسمنت ومنافعها في أربعمائة متر مربع لوضع حد من إزعاجه لبعض المعارف والأقرباء الذين يقطنون المدينة.

وهو يرى علامات الفتور في استقبالهم له ويضطر أحياناً لأخذ هدايا وفاكهة ومنح أوراق نقدية بفئات عالية لأطفال هؤلاء حتى يستقبلوه بحرارة أكثر ويقول في سره: "ما دمتُ هنا فسأجعلهم يأكلون اللحم كل يوم بجلبي دجاجتين لهم يومياً عند

عودتي في الظهيرة عندما تغلق الدوائر وينتهي الدوام ولأعتبر ذلك أجرة فندق". وكان يختار البيوت التي فيها أكثر عدد من الرجال وأقل عدد من النساء فهو يدرك بأنه "عازب" والإزعاج سيكون مضاعفاً عند البيوت التي تحتوي على بنات ولا تحتوي إلاّ على رجل واحد. في السنة الأولى من شرائه لهذا البيت غمز لجارته التي تسكن بجواره ويفصل بينهما حائط واحد نصفه لبيتها ونصفه الآخر لبيته.. هكذا قال له بائع البيت عندما سلّمه إياه.

وسأل عنها طفلاً صغيراً عندما ناداه وأعطاه تفاحة فقال الطفل: "سامية.. هذه سامية" وعرف عندئذ بأنها نصرانية.

ولكن في السنة الثالثة.. في شهر تموز أشار إليها أن تأتي إليه، كانت الساعة تشير إلى الثانية والنصف ظهراً، بعد قليل جاءت حاملةً بيدها صحن برغل عليه لحم غنم مفروم قائلة بأنهم ناموا من شدة الحرارة.

في الغرفة أحس السيد بدران بعضوه ينتصب بين ساقيه ويرفع سحّاب البنطال إلى الأمام وأصبح يلفت نظر سامية فنظرا إليه معاً، ومدّت أصابعها إليه صار أكثر هيجاناً، تمددا على الأرض ولما نهضا رأيا بقعة دم على البلاط. في تلك الظهيرة الصائفة.

دون أي تفكير مسبق خرجت السيدة سامية إلى الطريق العام ولحقها تاركاً الصحن كما هو، ركبا أول سيارة خاصة متجهة إلى القرية واختفيا في قرية أخرى. بعد مرور شهرين ذهب خمسة رجال من سكان القرية إلى بيت والد السيدة سامية وأخبروه بأنهم جميعاً على استعداد لأي شيء يبتغيه، قالوا: هذه رقابنا وأفعل بها ما تشاء دون أي ثمن مقابل أن تسامح ابنتك وابننا.

وقال: أنا لا أريد شيئاً أريد عودة ابنتي.

واستطاعوا أن يقنعوه بأنها أصبحت على ذمة رجل وأن أي قوة لا يمكن أن تعيدها حتى ولو كلفهم ذلك إضافة مشكلات أخرى.

وقال الأب: أنا لا أريد شيئاً وهذا حقي. "لا أريد شيئاً". أما ما جئتم بعرضه علي فأتنازل به.

وخرج الرجال دون الوصول إلى حل، بعد ذلك لجأت جماعة أخرى إلى الكنيسة وترجت القس ليتدخل بحسم هذه المسألة لأن دماء الناس ستتعرض للهدر وقد تكبر الحادثة وقال أصغر هؤلاء سناً: "الحب فوق الأديان يا سيدي" وقال أكبرهم سناً: "الأديان في خدمة الإنسان وليس العكس". ولكنها لم تصل إلى نتيجة مرضية وبقي الموضوع مشتعلاً بين العائلتين.

وبعد ولادتي وولادة أختي "راجية" و "ريم" بدأت جدتي تزور أمي في القرية وتجلب معها خالاتي الصغيرات وبعض عماتي واطمأنت أمي على حياتها الزوجية وأستطيع أن أذكر أن أبي كان يذبح خروفاً كلما زارتنا نساء من طرف أمي وأيضاً أذكر أن أمي لم تصلِّ ولم تصم مع سكان القرية وكانت تمارس عبادتها وتقرأ الإنجيل كل يوم أحد وكان "الصليب"على صدرها دائماً ذاك الصليب الذي جَلَبته معها من بيتها ولكنها في الشتاء تسخّن الماء لأبي وتوقظه لصلاة الفجر، وأيضاً تجلس تشاركه طعام السحور في رمضان دون أن تصوم. هذه هي أمي التي لا أتذكر غير تفاصيل صغيرة عن حياتها ولم يسبق أن زارها غير رجل واحد هو خالي "أيهم" الذي كان في الخامسة عشر من عمره آنذاك هي زيارة وحيدة ليتها لم تكن، فعندما مات جدي لأمي جاءت جدتي حاملة رسالة من أخوالي الخمسة لأمي لتتنازل لهم عن حصتها في الإرث مقابل سماحهم لها، فردت أمي بحضور أبي وعمي أن أولادها فقراء وهم بحاجة أكثر من أخوانها. وبكت وهي تنظر في حدقتي أمها التي حملتْ الرسالة: "ماذا فعلتُ ليجردونني من كل شيء ألستُ أختهم من أبيهم وأمهم وأولادي الصغار: راجي – ريم – راجية أليسوا أولى بما تركه لي أبي من شقائه في الدنيا ألا نعرف نأكل ونلبس مثلهم لماذا يخلطون الأوراق فليتذكروا بأنني أختهم وأنني مشتاقة – كالميت الذي يشتاق إلى الحياة – لرؤية ذاك البيت مرة ثانية".

ونقلت جدتي كلام أمي إليهم ورفضها العنيد بالانسحاب من "حصر الإرث" الشرعي والقانوني وكانت أمي تعرف المبالغ التي تصيبها من الأراضي الزراعية والمحلات التجارية الثلاث والنقود المودعة في المصرف وسيارة التاكسي الحديثة وكلها مسجلة باسم والدها. بعد شهر عادت جدتي ولأول مرة تجلب معها أخاً لأمي كان "أيهم" فاحتفت القرية كلها بحضوره رغم صغر سنه فقد اعتبر جميع أقربائي أن ذلك بداية لصلح نهائي وهو سيستجر بقية إخوانه وهكذا يمكن لأمي أن تفكر بزيارة أهلها ولو بسرعة خاطفة في منتصف ليلة شتائية. ومضى اليوم الأول على شاكلة أيام الأعراس وذبح أبي إثني عشر خروفاً داعياً القرية كلها للطعام على مدار ثلاثة أيام ولكن في اليوم الثاني عصراً والقرية تعيش ذروة عرسها وفرحها كان على خالي "أيهم" أن ينفّذ ما جاء به، فطعن أمي بسكين في المطبخ.

يستطيع راجي تذكر ذلك اليوم ووقائعه، فقد هرع من بين الأطفال كالسهم الطائش باتجاه البيت حينما سمع صوتاً طفولياً مجهولاً يهتف به: "راجي.. قتلوا أمك" يتذكر كل خطوة خطاها في الخامسة من عمره كان يتذكر أنها وعدته منذ ساعتين فقط أن تدخله إلى المدرسة في العام المقبل تلك الأم الرحيمة هاهي مستلقية على الأرض مقتلولة بجانب بقعة دم. أمي القتيلة منذ ذلك الوقت عرفت بأن الحياة أشرس من الإنسان، أمي هديتي الوحيدة قتلوها دون أن يأخذوا رأيي وأنا كنت الخسران الأكبر لأن الأمر كان يعنيني أكثر من أي شخص آخر في العالم لقد فُجعتّ بالقرار. في لحظات السواد تلك تقدّم إليه أبوه الشاحب وقاده إلى غرفة وأعاد غلق الباب هناك وقع على أختيه راجية وريم تنشجان بصوتين كسيرين خافتين وترتعدان، انضم إليهما ألقى وجهه بين ركبتيه تاركاً نحيبه يملوا وينتشر ويُسمع كل مَنْ في الحوش.

أمي المخلوقة الوحيدة التي كنت أغفو مطمئناً على ذراعيها دون خوف من كلاب آخر الليل التي تختطف مَنْ لا أمهات لهم، أمي اللحن الجميل الذي لن أسمعه كل

صباح، لكل مخلوق أم تهتم به ترضعه تقوم بتربيته وأنا لا أم لي، لا أم لي لقد قتلوها دون أن يستشيروني قتلوها أمي التي لم تفعل شيئاً سوى أنها أنجبتني لكل شيء ثمن وهذا هو ثمن إنجابي بالنسبة لي ولها، أمي العظيمة ماتت: كيف يقتلون أمك دون أن تدري وأين كنت.

أنا أوافق على ما قامت به في السابق أنا أقرب الناس إليها وهي أقربهم إليَّ إنهم متوحشون هؤلاء الذين يقتلون أمهاتنا.

"راجي قتلوا أمك" أرعب عبارة سَمعْتها أذناي حتى الآن أشعلتْ لهيباً لن ينطفئ في حواسي.

أنا الطفل الصغير الذي ما زالت رائحة حليبها تفوح مني الطفل المفجوع بقتل أمه.. الأم الصغيرة جداً الطفلة جداً كانت في الثالثة والعشرين أن الآن أكبرها بسنتين ماتت قبل أن تستمع إلى نشيد مدرسي واحد بصوت طفلها في الصف الأول الابتدائي أين راحت أمي وتركتني كيف ماتت هل بمقدور طعنة واحدة أن تلغي وجود إنسان بكامله أن تسحق أماً من الكرة الأرضية لا أصدق إنها مختبأة الآن وتراني لا بد أنها تراني وتتّبع أخباري.

أمي الغاية التي لم تترك غير رسالة وحيدة يتيمة كانت قد وصلتها من توأمتها "مادلين" ولم يسبق لي أن رأيتها حتى الآن لأنها على ما يبدو متزوجة في أمريكا وكان هناك من يطلب أمي للزواج، رسالة من أخت متزوجة إلى أخت عزباء هي أمي قد قرأتها إلى أن حفظت كل سطر فيها وتمنيت في قراءات، لو تزوجت أمي من ذاك الشاب "الماردلي" أو تزوجت أي شاب آخر غير أبي الذي كان السبب الأول في موتها لا أعرف في أي تاريخ كتبت هذه الرسالة لأنها خالية من تاريخ وتكتظ بالأخطاء اللغوية يبدو أنها كتبتها كأنها تحكي في سماعة هاتف.

"أختي الغالية سامية حالياً أنا بألف خير على ما أظن والكل يعرف بحملي في الشهر السادس ولكن كل من يشوفني يتوقع إني حامل بالشهر الرابع وكل ثالث يوم

من بداية الشهر أكمل شهراً وهكذا يمكن أن أضع في اليوم الثالث من شهر كانون الأول الآتي شوفي أي يوم مبهدل أي وقت زفت في عز البرد ويكون عندنا في أمريكا الثلج نصف متر الآن أخبرك كيف بدأ حملي كان قد قال لي الدكتور هنا بأنني إذا أريد حبوب منع الحمل أم لا فقلت: لا أريد.

ربما سوف تسبّب لي مشاكل في المستقبل. فقال: هنا في أمريكا يختلف الوضع، لأننا سوف نأخذ القليل من إفرازات الرحم ونعطيك حبوباً بموجب الرحم وبقيت أفكر بالموضوع يا أختي وعندما نويت على الحبوب أخبرت الدكتور بنيتي فقال: تعالي عندما تأتي الدورة الشهرية. وبقيت أنتظر الخانم "الدورة الشهرية" ما بعرف ليش تأخرت على غير طبيعتها وسجلت على دور عند الدكتور ولما جاء دوري كان مضى شهر ونصف على هذه الشغلة وعرفت بأن الدورة راحت ما بحلم فيها وأني حامل وفكرت أن أروّح الطفل وقال لي الدكتور: أنت حرة وقال زوجي جاك: فكري كويس وقرري لا تسألي حدا فكري بالأمر وقولي إذا تريدين أن تجهضي الطفل فيجب أن تكوني مستعدة بأسرع وقت.. لأن الجنين كلما يكون صغيراً يكون أسهل. ولبين ما تفكر الخانم "مادلين" أكمل الطفل شهرين. بعدها شعرت بجريمة ترويح طفلي خصوصاً بعد أن زرت عيادة دكتور الإجهاض وشفت النساء كيف يصرخن من الألم خاصة في إجهاض الطفل الأول. فقلت: لن أجهض وأربيه في بطني ولو تعرفي يا سامية يا توأمتي على أيش كنت مشتهية رح تضحكي كنت مشتهية الخيار أي خيار سوري بعرف راح تقولين ليش ما في في أمريكا خيار عندنا خيار لكنه كبير جداً وطعمه مختلف وكل الخضروات طعمها مختلف لكن تعودت عليها ما عدا "الخيار". المهم حملي لا يتعبني. أنه أريح من حمل كل النساء اللواتي رأيتهن.

سامية ربما لا تشعرين بشيء عندما أقول: "سورية" لكن وأنا هنا أشعر بأنني أنا سورية فعندما أسمع أسمها في التلفزيون أحس بأنه يعنيني. طبعاً لا أعرف بالتأكيد إذا كان الجنين ولداً أم بنتاً لكنني أريد بنتاً أما بالنسبة لأخبار دراستي أصبحت

أتكلم لسرعة وأفهم ما يقولوه حولي وأنا لوحدي أتسوق وأشتري الثياب والخضار وكل ما أريد بدون أحد ومعي سيارتي بس لو تعرفين كم أكره لونها إنه بيج على ذهبي وهنا الأمريكان يحبون هذا اللون كثيراً لأنه يتحمل الوسخ ولا تبان فيه القذارة ويوفر عليهم الغسيل. أما الفصل القادم للدراسة يبدأ بعد شهرين سجلتُ على درس رياضيات سهل كثيراً والمغزى منه لأتعلم الكلمات والعبارات في الحساب. وهذا الصف مع أمريكان ليس مع أجانب وهذا يساعد أيضاً، ودرس آخر طباعة على الكمبيوتر وهذا بسيط أيضاً، ودرس قراءة أيضاً مع أمريكان ما عدا درس قواعد إنكليزي مع أجانب. وسألغي كل الدروس قبل 3 كانون الأول عندما ألد. شوفي يا سامية يا توأمتي كنتِ أخبرتيني في التليفون عن الشباب الذين يتقدمون لك لا تنزعجي لا يناسبك أحد منهم وقد تكلّمت مع جاك في هذه المسألة، وداهود لا يا حبيبتي وألف لا إنه "ميردلي" وصائغ وصغير عمره 21 سنة على علمي ويمكن أصغر. معه حق عمي "ميخا" برفضه لأنه أيضاً صائغ ويعرف الشباب الصياغ في الحسكة أكثر منكِ. أولاً: هل تقدّم هذا الشاب رسمياً لك؟

ثانياً: إنه ميردلي وأول شيء سوف تكونين مكروهة من أهله ولن يسمحوا له أن يتزوجك. وإذا تحداهم سيطردونه من البيت ويحرمونه من الإرث وهكذا سيكون مفلساً وتكوني جائعة طوال حياتكِ.

ثالثاً: إنه صائغ ويقول لحاله: بدي أتسلى بها ولما أشوف البنت الميردلية اللي على كيفي سأتزوجها. وهكذا ستكون سمعتكِ طلعت معه.. ويكون سوقكِ انكسر. لا تنزعجي يا حبيبتي من كلامي لأنني أخاف على مصلحتك. فكّري في مستقبلكِ فأنتِ الآن في أحلى وأجمل فترة من عمركِ. وتزوجي واحد كويس يعني بصراحة يا أختي. أنتِ كبرتي. وبعد سنتين إذا ما تزوجتِ راحت عليكِ، وبكرة راح تقولين توأمتي مادلين قالت. لأن البنت من 16 إلى 19 إلى 20 سنة وبس وبعد هيك تروح للهامش إلاّ إذا كانت مخطوبة.. لأن البنات يكبرن بسرعة وما أن تتجاوز هذه السنوات الذهبية

حتى تحتلها غيرها. وأنتِ أيضاً الآن داهود يقول بأنه يحبك لكنه يتسلى إلى أن يصبح في الخامسة والعشرين وتتجاوزين العشرين فيرى واحدة صغيرة ويفوتكِ القطار. هو لن يتزوجك لأن أهله لا يقبلون. وهو ليس مجنوناً ليضحي بالسيارة وبملايين الليرات ليعيش مفلساً في بيت للأجرة ويعمل أجيراً أو عتالاً. هل تفهمينني يا سامية.

الحاصلة، لا تزعلي إذا قلت لجاك لأن هو أيضاً يحبكِ مثل أخواته، ويهمه مستقبلكِ كثيراً وأنا سألته لأنه ناضج.. وهو يهديكِ سلامه من هنا لكِ ولكل الأقرباء ولأبي وأمي وإخواني وأخواتي وبنات وأولاد الخال حنا والعم صومي وللجد والميمة وفي الرسالة القادمة سأرسل لكم صوري بالحبل.

توأمتك مادلين.

سامية أكتب لك الآن بالرصاص: فأنا لا مانع لدي أن تعطي الرسالة لأهل البيت أو تخبريهم بهذه الرسالة الخاصة والشخصية غير رسالتهم العامة طبعاً وإذا فعلتِ هذا يمكن أن تمحين هذه الملاحظة بالممحاة قبل ذلك.

المحبة لك

مادلين

لم ينته كل شيء سأحتضنها مرة أخرى لا بد أن هذا سيحدث ذات يوم سيكون مفهومي لكلمة "موت" أنضج من أي وقت سابق سيكون أوعى من المفهوم السائد. سامية.. تلك الأم العظيمة هل فقدتها للأبد. للحظة أحس بامتلاء معدته، فوجئ بها، وقطع تفكيره. نهض، رفع ما تبقى من طعام للعشاء، أعاد كل شيء إلى مكانه وقع نظره على نصف الرسالة البارز من جوف الكتاب تذكر لحظة دخوله إلى مدير مبنى

البريد في العاصمة وبيده عريضة يطلب فيها نقل اشتراكه في العلب البريدية إلى مدينته لسبب تخرجه ويذكر أن المدير كتب في أسفل العريضة: "موافق أصولاً في حال توفر علب شاغرة". لدى عودته جاء إلى مبنى البريد وأعطوه صندوقاً بديلاً عن صندوق العاصمة. ثمة رسائل كثيرة من أصدقاء وصديقات الجامعة ستدخل هذه العلبة، هذه العلبة التي ستكون صلة وصل بينه وبينهم.

إي يا راجي داهمتك الذكريات بغتة لا عزاء للإنسان الذي يذهب عمره أمام نظره غير أن يتذكر الأحداث التي تُحال بين لحظة وأخرى إلى ذكرى كل لحظة تحيل أختها إلى ماضي. كم من السنوات عشت.. أيام الطفولة، سنوات المراهقة، الشباب، ليس لك أي رصيد حقيقي في الحياة غير ذكرياتك، ذكراك تبقى خالدة في الأذهان لن تتعرض للنسيان ذكرياتك في حياتك هي ذكريات البؤس والشقاء والحساسية التي تكاد تقضي عليك هذه هي كتبك التي جلبتها معك من العاصمة، إنها تحمل ذكرياتك انهض يا راجي وأعد قراءتها حرفاً، حرفاً اقرأ وسترى بأن قراءاتك السابقة كانت محاولات فاشلة للتهرب من الواقع، سترى بأنك لم تكن راضياً عن الواقع ولا لحظة واحدة هذه الكتب كانت تملأ فراغك.. وتأخذك إلى أماكن أقل قسوة من الواقع.. من واقعك.

نظر إلى المظروف وقرأ: المرسلة: كلناز

أي "كلناز" يا راجي أتتذكر هذا الاسم؟

في الجامعة.. في أي مكان آخر.. هل رأيت "كلناز" وقلّبَ المظروف، قرأ رقم علبته.. إنها لك يا راجي.. تذكّر جيداً.. في العاصمة.. تذكّر في مكان ما..؟ ومزّق الغلاف بطريقة بطيئة وفنية..

"إلى عبد الله..

قرأت عنوانك.. إذا وافقت أن أكون صديقتك، أرسل لي على عنواني التالي".

إنها من نفس المدينة، وقد تكون من نفس الحي ولا يبعد صندوقها عن صندوقك أكثر من ثلاث خطوات.

- **هل سبق أن أرسلت رسالة إلى مجلة كهذه.**
- **أتعتقد أن يكون هناك خطأ في طباعة إحدى الأرقام مما أدى إلى هذا الخطأ..؟**
- **بل قد يكون هذا الصندوق لشخص آخر سلموه إليَّ لأنه لم يسدد اشتراكاته...**
- **وربما يكون عبد الله هذا أحد معارفي واختار صندوقي عنواناً له..؟..**
- **لكنك لا تعرف شخصاً بهذا الاسم بينكما صداقة إلى هذه الحدود.**
- **إذن.. من هو عبد الله.. ومن هي كلناز ؟**
- **لا يهمك.. سواء عرفت أم لا.. تحدث آلاف الأخطاء حتى في طباعة الكتب الراقية.. عامل مطبعة كان سكراناً.. ووضع رقم (2) بدل (3) فتغير الرقم كله.**

استرخى على جنبه الأيسر اسند صدغه بباطن كفه وكأن الرأس كلها استلقت في حضن الكف وتداعت عيناه خطتا كل الجدران والمسافات والحواجز إلى العاصمة.. عيناه سحبتا الطريق واختصراه إلى العاصمة "شيرين" الطعنة الباقية في القلب. ثلاث سنوات حافلة.. كانت "شيرين" أجمل امرأة في العالم بالنسبة له. في السنوات الثلاث الأخيرة قال لها الحقيقة" :شيرين.. لم أشعر بما أشعره نحوكِ تجاه مخلوق، أنا أكثر من أحبك.. ما لدي هو أكبر من الحب".

وبعد أيام متنت العلاقة بينهما: شيرين.. أرجوك عندما نلتقي لا تمدّي يدكِ إلى يدي..

وحدّقت فيه: إلى هذا الحدّ.

- علاقتنا تبقى روحية.. عميقة.. تزداد قدسية.. شيرين.. صحيح أنتِ امرأة لكنكِ بالنسبة لي لستِ أنثى.. أنا أذوب فيك يا شيرين إلى آخر قطرة دم في قلبي.

- ألن تطلبني بعد أن تتخرج ؟.

- هذا السؤال يدمرني.. شيرين.. لن أتصور في يوم من الأيام أن علاقتي بك ستنحطّ إلى علاقة جسدية.. هناك مئات المومسات.. العاهرات.. القوادات.. أفضّل اللجوء إلى أي ماخور على أن تسقطين.

ربما سنتزوج.. شيرين المقدسة.. شيرين نبض القلب الضعيف، لكن أمام الناس فقط.. حتى يدعونني معك في بيتنا.. ياه "بيتنا" شيرين.. وهذا الاسم لماذا يكون حلواً هكذا.. شيرين.. أنا أحبك.. سأرفع صوتي.. سأملأ العالم باسمكِ.. سأكتب اسمك في كل مقاعد الحافلات.. على كل الجدران.. في كل المدن التي أزورها.. أكتبه على دفاتري وكتبي وأقلامي.. وثيابي.. شيرين.. أنت العروق.

وفي السنة الأخيرة ليلة رأس السنة اتفقا على السهر حتى الصباح في غرفته، وحرصاً منه على شيرين لم يجلب أي نوع من الخمور وسهرا حتى منتصف الليل. عند ذاك انطفأ الضوء وبعد دقيقة اشتعل ثانية وامتلأ الكون بالضجيج نهضت شيرين إلى وسط الغرفة وبدأت ترقص على صوت الصخب الذي يملأ الكون وبينما هي ترقص عرقت فخلعت بعض ثيابها ولبثت بفستان النوم ولفّت محرمة على أعلى ساقيها وواصلت الرقص.

لم يتمالك نفسه فمد يده إلى ساقها، نظرتْ في عينيه، أحس بجسده كله يمتلئ شهوة. ونهض إليها، إرتمت في حضنه وقعت بفمها في فمه واستلقيا على الأرض عاريين. همس: كيف سيحدث ذلك؟

قالت: لا أعرف أحذر أنا عذراء

قال: لكنني سأصاب بجلطة إن لم أفعلها سأنفجر شهوة

قالت: أنا خائفة من عدوانيتك في الجنس

قال: لستُ عدوانياً ولكن شهوة السنوات المكبوتة تدفقت دفعة واحدة عندما رقصتِ وعندما محتُ ساقيكِ.

وأدار ظهرها إليه هامساً: سأفعلها هكذا لن تقوم القيامة. واستجابت شيرين لرغبته وعندما انتهى مدّ يده إلى رأسها ولم تدر وجهها أليه وبعد نصف ساعة حاول مرة أخرى ولم تدر وجهها

قال: شيرين ما بكِ ؟

قالت وهي تخفي وجهها بكفيها: بأي عيون سننظر إلى وجهينا لوثنا أسمى علاقة حطمنا كل شيء

قال: هذه ليست جريمة كل النساء والرجال يفعلونها في كل عواصم ومدن العالم.

قالت: لا تبرر فعلتنا أرجوك كفى اصمت لا أستطيع أن أسمع صوتك ياه هل تتصور بأنني قادرة على النظر في وجهك وكأن شيئاً لم يحدث. هاهي أيها الرجل مياهك تجف، عاصفتك تهدأ والسكون يركن إلى عضلاتك، لكن ذلك لا ينفي ما فَعَلته العاصفة وخلّفته من خراب، ماتت أشجاري ذبلت ورودي انطفأت مصابيحي كل ذرة فيَّ تخفض رأسها لسقوطي وتنهار آخر صخرة من صخور ذاك الجبل الشامخ الذي كنته.

وأدرك راجي المستلقي على جنبه الأيمن حجم المأساة في هذه اللحظات التي بدت كئيبة ومؤلمة.

جاء صوتها الحزين: ربما لم أكن كئيبة لو فقدتُ أمي الغالية لو فقدتُ نظري وقدمي في حادث هل تستطيع أن تعيد لي ما أخذته يا راجي أشعر بأنني لوثت العالم كله أي شقاء هذا الذي يحتلني.

وقال راجي مخاطباً نفسه بسر: ولكن ما الذي كان بيدي كنتُ حيواناً.

إي يا راجي المرأة الجميلة ليست كغيرها من النساء، لها قدسية لها حدودها التي لا يقربها أحد. شيرين ليست كغيرها وردة تتفتح للتو ترى الأشياء الجميلة وحدها تحب الحياة والدراسة والكفاح وتخطط لمستقبل.. لنجاح.. وهاأنت تدمرها تحطم أحلامها تحيلها إلى زانية هاهي شيرين المسكينة تكتشف غدرك وخيانتك ولا تطيق النظر في حقيقتك التي ظهرت الآن.

أنت وغد يا راجي. امرأة بحجم جمال شيرين تدخل حياتك كنت تقول: لا توجد امرأة ترتقي إلى مستوى هذا الجمال. كل الطلاب فقط يحلمون بنظرة سريعة إليها شيرين سحرتْ كل مَنْ في الجامعة. تركتْ الكل وأمنتْ إليك إلى كلامك عن الإخلاص والاحترام والحب الكبير لم تعرف بأنك ستنقلب هكذا وتغتصبها وهي ضيفتك في بيتك: المرأة الجميلة مثلكِ يا شيرين يكفيها أنها تلهم الحب الكبير، تفجر المشاعر الإنسانية، تغسل القلب، تطهر الروح، أنت بقعة ضوء في عالم من الظلمات.

- **لماذا لا تدعني ألتقيك بعيداً عن الجامعة ؟**
- **أين ؟**
- **في بيتك.. ألم تقل بأنك مستأجر غرفة .**
- **أنت جميلة يا شيرين إلى حدود الرعب والمرأة الجميلة تبقى بهية وهي بعيدة لقاءاتنا الخاطفة هنا تزيد الشوق وتضرم الحريق في الحواس شيرين أنتِ الكنز ألا تكفي كل هذه النظرات الفائضة في وجهك ألا يكفي كل هذه الصوت السخي يصعد إلى ذاكرتي. شيرين هكذا تبقين عظيمة عندما لا نلتقي كثيراً، أو لا نلتقي أبداً.**

أجل يا راجي لقد مات كل شيء أي شيطان أودى بها إلى غرفتك أي شر وسوس لك كيف ستنظر في وجهها الآن وأي كلام ستقوله لها وبأي صوت ستتحدث. شيرين ذاك العالم الكبير هاهي تحتضر عارية في فرشتك.

وتحركت شيرين فنظر إليها بعفوية لمح الضوء يدخل الغرفة من خلف النافذة ولكن صوتها الخافت جاء: أرجوك لا تنظر إلي حتى أرتدي ثيابي. غطّى وجهه باللحاف. وبعد قليل سمع صوت الباب فرفع اللحاف ولم ير غير يدها خارجة هتف: شيرين وخرج خلفها بثياب النوم كان الشارع خالياً من حركة الناس، وهي تهرول وما تزال تخفي وجهها بكفيها، مالت إلى الطريق وأدى ذلك إلى ميلان بعض السيارات القادمة!! أطلق صيحة وهو ينظر حوله ويتأملها بين السيارات مغطية وجهها وقبل مفترق الطريق دارت سيارة أجرة مسرعة وفي لحظات كانت شيرين مستلقية وسط الطريق تنزف منها الدماء.

عندما استيقظت في اليوم الثاني رأت نفسها على سرير في المشفى، عندئذ طلبت ورقة وقلماً من الطبيب ورغم جروحها استطاعت أن تكتب عبارة: "أرجوكم لا تتركوا وجي دون غطاء"

وفقدت حياتها في صبحية اليوم الثالث إثر نزيف داخلي عنيف.

هاهو راجي يشبه المتقاعدين إنه متقاعد تماماً درس خمس سنوات وتخرج من الجامعة ليتقاعد لو كان يعرف ذلك لما قال يومئذ: "تخرجت" لقال: "تقاعدت".

تمضي الأيام وكل أسبوع يخرج يتجول في السوق من الصباح وحتى العصر ويعود فارغاً، يلجأ إلى القرية كل شهرين يلبث يومين في بيت أحد عميه يجلب مصروفه ويعود، يجلب نقطة من كوب، هذه الأرض التي تدر ذهباً ما زالت مسجلة باسم الورثة هم بدران – وبكر – وعابد، ويلملم ذهبها بكر – وعابد - بعد موت بدران وحصته تبقى لابنه راجي فقط ماذا سيفعل بالأرض لو أقام دعوى قضائية وحصل على حصته.. سيعيش في قصر.. وسيشتري سيارة بمجرد أن يؤجر هذه المساحة لثلاث سنوات فقط لأحد المزارعين، لا أن يبيعها. ألا يحق لك أن تتمتع بالحياة يا راجي هل تعد ذلك خيانة إنك لا تسرق شيئاً لماذا تتهرب من الرفاهية هل هي خيانة بمفهومك حتى إذا أتتك من طريق مشروع.. من أبيك الذي أنجبك، ولماذا لا

تجرب حياة المشعوذين لبضعة أشهر فقط أو لسنتين.. عليك أن تجرب يا راجي التجربة الذاتية تعلّمك أكثر من قراءات العالم.. أليست كل هذه القراءات هي نتيجة تجارب مبدعيها.. حتى تستطيع أن تتحسس الخطايا وتتحدث عنها بصواب عليك أن تكون قد غرقت في ينابيعها.. عندئذ بمقدورك الحديث عن خطاياك بمقدورك استيعابها بصورة أبهى.

ستتخلى يا راجي عن حياتك ستضع تفكيرك تحت وسادتك أجل يا راجي وستسعى إلى بيع الأرض وستفكر بشراء بيت كبير تحوّله إلى بيت للعزلة وقبل أن تموت بلحظات ستوصي أن تُدفن فيه.

يا راجي.. لماذا لا تدخن..؟ ثمة أشياء كثيرة عليك أن تقوم بها.. وتذّكر في كل لحظة "زاهية" التي تنهض منتصف الليل وتقذف الحصى على بابك من أعلى الحائط الذي يفصل بينكما.. زاهية التي قذفتْ لك رسالة قالت فيها: "منذ سنتين تزوجت.. لي ابنة واحدة.. مللتُ النوم مع زوجي.. هل ستقفز من الحائط وتخطفني منه إنه نائم هذه اللحظة" وتذّكر الآخرون يخافون الموت وأنت تخاف الحياة يا راجي.. هيا.. افعل شيئاً.. غداً ستنام إلى الأبد في ظلام قبر مهجور.. كل شيء يتغير الإنسان يتلاءم مع التغيير ويخضع له.. حتى لا يبقى باهتاً مملاً..يوجه هذا التغيير حتى لا يكون ميتاً.. وأنت عشت كل لحظة.. كل ساعة.. لم يفتلُ يوم واحد لم تعشه.. كانت سنوات عمرك حافلة بالاخفاقات والطعنات.. والمشاهدات..

استمعت إلى مجموعة مذهلة من الأغنيات.. شاهدت أحلاماً ليس بوسع ذاكرتك حفظها.. قرأت.. استمعت إلى آلاف نشرات الأنباء.. شاهدت عشرات الآلاف من الوجوه.. تحدثت مع آلاف الأشخاص.. مشيت مئات الكيلو مترات على قدميك.. لم تمر السنوات هباءً.. كم مرة غسلت وجهك.. حلقت ذقنك.. ارتديت ثيابك.. أكلت.. جعت.. شبعت.. ضحكت.. بكيت.. كم مرة.. ومرة.. ومرة.. أحسست بدفء العيش وأنت تصر على الحياة.. لا تدع ولا لحظة واحدة تهرب.. تتشبث بشعرها.. ولا تتركها إلاّ بعد أن

تعتصرها.. ولا تتخلص الساعة منك إلا منهكة جائعة، متقطعة الأنفاس.. الوقت فيك يحركك وتحركه.. هذا هو الوقت يا راجي وهذا هو المكان.

وهاأنت تكبر يا راجي.. وما أجمل أن تكبر.. لكل سنة تفكيرها.. ومشاعرها.. ومفهومك تجاهها.. كل سنة تأتي أنضج من غيرها.. انظر خلفك.. سترى ماضيك القاسي.. هل ستحتمل مثلما كنت.. ألن يغيرك الحرمان.. قالوا: "راجي كبر.. وسيدخل الجامعة.. كبر دون أن يدري به أحد.. ابن بدران" وعرفت أنه لم يعد لك مستقبل في القرية.. مستقبلك في الجامعة.. في العاصمة التي ستراها لأول مرة في حياتك.. كانت الإشارة الأولى للتغيير.. ورضخت لها استجبت.. وتركت قبر أمك لأول مرة.. الأم الماضي.. الأم الطفولة.. الأم التربية.. كان عليها أن تموت لتولد أنت مثلما تولد الدقيقة من موت الثانية.. وتولد الساعة من موت الدقيقة.. ويولد اليوم من موت الساعة.. وتولد السنة الجديدة من موت /8760/ساعة.

لقد ولدت المرحلة الجامعية من موت الثانوية وهاهي تسير في جنازتها.. وهاهي العاصمة تولد من موت القرية.. وهاهو أبوك يشجعك على السير في الجنازة الكبرى على طريق الولادة.. "راجي.. ابني.. لا تخف سأرسل لك نقوداً.. سأستدين سأزورك في العاصمة، مستقبلك هناك".

هذا الأب الذي سيكتب لك بعد سنتين: "راجي.. أرى موتي قريباً مني.. عش أنت.. وعندما تتخرج بع الأرض واسكن في المدينة.. هناك في البيت الذي اشتريته لك ذات يوم لقد مات أبوك.. وماتت أمك يا راجي.. عش أنت وانجب أطفالاً يشبهونني وطفلات يشبهن أمك".

أبوك الذي استطاع أن يمضي عشرين سنة دون امرأة الذي لم يضجر من زرع الورود على قبر أمك المقتولة في تلك الأرض الأريضة.

عشرين سنة.. ذاك القبر الذي يستريح في أطهر ركن من أركان الحوش تحت فيء دالية العنب تودع كل شيء.. حتى لحظات الطفولة راجية وريم تودع طفولتك

فيهما.. تودعان طفولتهما فيك.. تبكيان على أخيهما الوحيد في هذا العالم.. كلما تتذكر أختيك تستيقظ أمك من نومها الأبدي للحظات.. وتعانقك.. تخاف عليك من لصوص آخر الليل.. تخاف عليك "منك" من الجدران.. من العتمة.

"راجيي.. هناك ستعيشني للحظات فقط يمكن لها أن تعيد إلي قليلاً من الهواء.. هناك يا راجيي.. تذكر وأنت تمدّ إليه الخطوة الأولى.. مع استدارة قبضة الباب الأولى.. تذكر في لحظاتٍ بصمات قبضة أبيك.. هناك في المكان الذي تمنيت طوال عمري أن أعيش فيه ليوم واحد أن استرد الذكرى.. في المكان الذي عشتُ طوال عمري مطروداً منه.. هناك قبّلتُ أمك.. ووضعتُ في رحمها حيواناً صغيراً.. كان ذاك الحيوان الصغير اللا مرئي هو "أنت" تذكر يا راجيي عهدنا القديم الذي عهدناه.. "سأكون لكَ إلى الأبد لن يمسني رجل غيرك" ستحيي كل لحظة ميتة.. أنت ثمرة ذاك العهد القديم الذي عهدناه ذات ظهيرة خلسة.. المرأة.. المرأة يا رجيي.. أنت لن تعيش إلاّ من خلال المرأة.. حتى ولو كانت هذه المرأة وهماً.. ستعيش سعيداً في الوهم.. وفي حالتك لا فرق بين الوهم والحقيقة.. أنا أبوح لك بتجربتي.. أبوح لك وحدك بما لا يمكن لي أن أبوح به لغيرك.. أنت الذاهب إلى ذاك المكان الخالد الأشد خصوصية وسرية بالنسبة لي.

هذا ما استخلصه الآن بعد خمس وخمسين سنة من الحياة المرأة.. يا ولدي الصغير.. من لا يؤمن بوجودها.. يعيش مطروداً من الحياة إلى الأبد.. يمضي حياته خارجها واقفاً على الباب المقفول من الداخل".

هاهو الباب الذي أكله الصدأ ينفتح لأول مرة منذ خمس وعشرين سنة.. هاهي الجدران التي شهدت نطاف تأسيسك.. هنا كانت تتهرب منه.. وكان يلاحقها بقضيبه المنتصب: انظر.. انظر.. أليست أمك هذه التي تهبط من أعلى السطح. وقف راجي على قدميه.. وتقدّمت إليه أمه التي لم تكبر.. أمه التي هي أصغر منه بثلاث سنوات: "راجيي.. كنزي.. ثمرة تمردي الأبدي وموتي.. لستُ قادرة على نسيانك يا نبعي".

هذه هي اللحظات المذهلة التي لا تموت في الإنسان حتى بعد موته بملايين السنين.. هذه لحظات إلهية مباركة تغفو لكنها لا تموت تستيقظ تلقائياً وتيقظ الحياة في الإنسان.. الإنسان "الامتداد" هاهي الذكرى تهزّ شجرة الموت وتولّد الحياة.. هاهي الولادة الحقيقية تظهر في هذا المكان تستيقظ.. وتيقظ كل ذرة حياة فيك.. تهز عمقك.. وتبشرك بانهيار أودية العزلة والرعب.. الحياة لا تتوقف يا راجي حتى لو اضطرتْ إلى إعادة نفسها من جديد.. من بدء الإنسان الأول بشكله البدائي، هنا ستمضي حياتك المقبلة.. ومن خلف الجدار ستفوح رائحة أمك التي أمضت ذات طفولة طفولتها وسنوات مراهقتها وطيشها.

في لحظات واقعة يمكن أن يحدث ما يراه الإنسان معجزة.. في لحظات فقط.. لا يمكن لها أن تتكرر في ذات الزمان والمكان ولذات الهدف ولشخص واحد. نفحات الحياة المباركة التي تقتلعك من اليأس والهوة، عليك أن تدرك الواقع لتثبت بأنك تعيشه، وهذا البيت الذي يليك إنه في الواقع بيت "جدك" تقبع فيه عجوز هي "جدتك" المرأة التي أنجبت المرأة التي أنجبتك، وفيه رجل ذات يوم اغتال أخته هو في الواقع "خالك" وفيه فتيات هن "خالاتك" دمهن يجري في عروقك شاركن أمك طفولتها.. كلهم يرقبون لحظات دخولك وخروجك.. ينظرون إليك بدهشة. رائحة من ابنتهم المفقودة أنت.. لقد طُبعتْ على وجهك ملامحهم.. هاهي جبهة "أيهم .."هاهو أنف "جدك" هاهو حجم ثغر خالتك.. هاهو طول جدتك.. حتى صوتك ورثت نبراته عند مؤخرة الأحرف الأخيرة المفتوحة عن أمك.. كل شيء يمضي ويترك بصماته.. هذا هو عناد الإنسان الذي يهوى الخلود.. زميلك باقر سيعمل خمس سنوات في إحدى دوائر الدولة ويخطّط لفتح مكتب مدني خاص به وعندئذ سيشتري بيتاً وسيتزوج ينجب أطفالاً وأنت يا راجي لقد نسيت بأنك مهندس في أي اتجاه تمضي أنت ضائع مد خطوتك إلى أي طريق وسر به.

في اليوم العاشر من شهر كانون الأول وفي الساعة الواحدة ظهراً جلس راجي عبد الكريم بن السيد بدران في الغرفة التي شهدتْ ولادته مع أختيه المتزوجتين راجية وريم وبهذه المناسبة ذبح عمه خروفاً فطيماً ودعاه مع أختيه وعمه الثاني بكر في ظهيرة اليوم الثاني إلى تناول الغداء.. وفي الساعة الواحدة ظهراً اجتمعوا جميعاً تحت سقف غرفة ضيوف السيد عابد.

- هل تعينت يا ابن أخي.. قال عابد.

أجاب راجي وهو ينظر في عيني عمه المتعبتين:

ما أزال جالساً في البيت.

- هل يلزمك المال لتؤسس مشروعاً.. أموالك هي التي عندنا.

- لا يوجد مشروع في بالي.

قال عمه بكر: إذن توجد امرأة..

وفي لحظة مباغتة قفز اسم "كلناز" إلى ذاكرته تذكر بأنه أهمل الرسالة.. أجاب: ولا امرأة.

- **هل يزورك أحد منهم؟ قالت راجية**

فهم الجميع مغزى كلمة "منهم" وقال راجي: فقط ينظرون إليَّ.. وقفز إلى ذاكرته وجه جدته.

- هنا أهلك.. ألا تفكر بالعيش بيننا لا أحد لكَ هناك.. وحدك في ذاك البيت..

فكر راجي للحظات ببيع الأرض.. بزاهية.. بالسفر خارج القطر.. فكر بقرار العزلة.. بالانتحار وبدا مضطرباً في جلوسه.

وربما أحس عمه عابد بشيء من حالة اللا استقرار في أبن أخيه فقال له لصوت رزين مثلما يقول حكمة: الحياة بدون هدف مضيعة للعمر. وأردف وقد مد يده إلى كتف ابن أخيه: الهدف هو الذي يقتل القلق ويحلّي الأيام.

بالأمس كنت أرى الخلاص في المرأة.. المرأة التي تدفن أحزان الرجل والآن أرتدد في إعادة تلك الرؤية.. على المرأة أن تأتي وتثبت بأنني على خطأ.

ورأيت الخلاص في تجريب ملذات الحياة والسفر والخطيئة.

رأيته في اتخاذ قرار العزلة.. ثم الموت رأيته في القراءة في الكتابة في الهندسة ولم أقدم على اتخاذ أي قرار جدّي. خائف من أن تضيع حياتي مني وأخسر كل شيء.. أحب الحياة وأتعلق بها والآن،، لا شيء يضحكني،، لا شيء يبكيني.. وهذه الحالة تخلق لي هاجس التوتر والاضطراب.. أعلم مدى حاجتي.. إلى امرأة.. إلى أطفال.. إلى منزل دافئ.. في الزمن المبهم هذا.. كل شيء قابل للانكسار.. حتى الحلم الذي ينام في الذاكرة يأتون ويخطفونه عندما يستيقظ للحظات.. وهل هذا بحاجة إلى ثقة. إلى حديث طويل مع الذات.. أعلم حاجتي إلى حياة هادئة.. متواضعة.. وامرأة جميلة.. أخرج صباحاً إلى عملي مع آلاف العمال.. وأعود في الظهيرة إلى زوجتي.. إلى أطفالي.. آه لو علموا مدى حاجتي إلى تلك الراحة، أشعر بالضياع الحقيقي.. الضياع الذي ما بعده ضياع.

لكن أحاول أن أتّوه نفسي عن الحقيقة.. أقنعها بأنني مرقه.. أعيش بحرية.. طليقاً كالطيور، أتحايل بكل الأكاذيب عليها لتنسجم مع كل المراحل التي لا تعجبني.. أقول: هذه مرحلة لا بد منها.. لتقبل أخرى جديدة.. وتأتي الأخرى.. لا تحمل سوى اكتشافات جديدة في الآلام تُضاف إلى جملة آلامي التي أعانيها.. أقول مرة أخرى: وهذه مرحلة أيضاً لا بد منها لأكتشف علقم الحياة وحلوها.. لأمرّ بكل التفاصيل.. ستأتي المرحلة العظمى بعد هذه.. لكن لا توجد مرحلة عظمى ويبدو بأنني أعيش فقط وكل مرحلة تقذفني إلى أخرى، لن أبحث عن أحلام وأمنيات ومفاجآت.. ما يهمني هو أنني أعيش الآن لا أخطط بما سأفعله بعد لحظات سيكون ذلك مباغتاً كالقدر.

لن أبحث عن الحب الكبير الذي يحوّل مجرى حياة الإنسان، ويصنع إنساناً آخر بدلاً عنه. الحب الذي أضعف أمامه إلى آخر رعشة وبذات اللحظة يملأ كياني قوة

العالم المذهلة.. أيضا عندما تظهر المرأة الحقيقية الكبرى ستحمل معها الحب الحقيقي الكبير الذي يرتعش له القلب وتُذرفْ له العينان، إذ كل ما صادفت من نساء كن نساءً آنيات.. بنات اللحظة.. أشعر بواحدة ظهرت لتختفي.. لم تظهر المرأة التي تلبث مشرقة إلى المساء.. لتعاود الشروق في الصباح القادم "ها أنتِ جميلةٌ ها أنتِ جميلةٌ عيناك حمامتان من تحتِ نَقّابِكِ. شعركِ كقطيع معزٍ رابض على جبل جِلعاد. أسنانكِ كقطيع الجزائر الصادرة من الغُسلِ اللواتي كل واحدة مُتِمٌ وليس فيهن عقيم. شفتاكِ كسِلكةٍ من القِرمِز. وفمكِ حُلوٌ. خدُّكِ كَفِلقَةِ رُمَّانَةٍ تَحْتَ نَقّابِكِ. عُنُقُكِ كَبُرج داود المبني لِلأسْلِحَةِ. ألف مجنٍ عُلّقَ عَليهِ كُلُّها أتراسُ الجَبَابرَةِ. ثدياكِ كَخِشفَتَي ظبية تَوأمَيْنِ يرعيان بين السوسن. إلى أن يفيح النهار وتنهزم الظلال أذهب إلى جبل المُر وإلى تل اللُّبَان.

كُلُّكِ جَمِيلٌ يا حبيبتي ليس فِيكِ عيبة".

إلى متى أسترسل في أحلامي.. الآن أنا هربت من الأحلام والتأمل والشرود.. أجلس مع أقرب رجلين إلي.. عليَّ أن أشعرهما بأنني سعيد بوجودي معهما اليوم.

عليَّ أن أكون عاقلاً.. وأخاطب عمَّي بتهذيب.. إنهما في مكانة والدي.. عليَّ أن أحترم أي عبارة أقولها لهما.. أنا مخطئ.. وأعلم جيداً بأن تربيتي السيئة خلف ذلك.. إنهما يستثمران الأرض.. ويعطونني حاجتي.. ويعطون لأختَي.. بأي أسلوب طائش سأقسّم الأرض.. وأبيعها إلى رجل غريب لا يعرفنا من قريب أو بعيد.. هذا قرار يُظهر سخافتي..

- كن واعياً يا راجي.. أنت جئت إلى القرية لأنك اشتقت إلى أختيك.. إلى قبرَي والدَيك.. إلى عَميك وأولادهما.. كن متّزناً.. بمقدور قرار واحد أن يجرّدك من جذورك.. أنت ارتكبت حماقات بحق نفسك لو علم بها أحد هؤلاء لتغيرت طريقة تعاملهم معك.. لقد كنت سافلاً، ولكن بالرغم من ذلك النار لم تأكل كل شيء.. لم يرها أحد.. لقد بقيتْ مشتعلة في داخلك.. وقد تأتي يوم وتشعر فيه بالبراءة.. وأنك كنت

ضحية.. ضحية الحرية المبكرة وهذه هي إحدى مساوئ الحرية التي تُمنح بغتة لشخص صغير مراهق دفعة واحدة، الحرية الكاملة التي مُنحتْ لك وأنت في السادسة عشر من عمرك.. عندما جئت لأول مرة إلى المدينة لتدرس المرحلة الثانوية.

في أحايين ما.. يمكن للحرية أن تأخذ أكثر مما تعطي.. أن تهدم.. أكثر مما تبني.. يمكن لها أن تستعبد أكثر مما تحرر.. ورغم كل الخسارات الفادحة فيجب أن تقتنع بأنك المستفيد.

في لحظات ما.. رأى بأن عليه النهوض إلى العتبة.. وقرر أن يؤجل كل شيء.. وصل العتبة انحنى إلى الطشت الصغير.. تناول قطعة الصابون.. وسكبتْ ابنة عمه الماء الساخن على يديه.. نظّف يديه من الدهون.. وجمع في كفه رغوة بيضاء وضعها في فمه وبطريقة فرشاة الأسنان صار يدلك أسنانه بإصبعه.. وما لبث أن مد يده إلى البشكير من كتف ابنة عمه الواقفة.. ومسح يديه وشفتيه.. سمع صوت سكب الشاي في الكاسات الصغيرة. واستيقظت ذكريات في رأسه.. أحس بنكهة قديمة.. وجلس يحتسي الشاي.. قذف عمه سيجارة إليه.

في لحظات ما أبيح لنفسي كل شيء، همسها عقله وامتدّتْ يده على السيجارة دخنها مع الشاي.. هاهو السحر يا راجي.. أينما تذهب لا بد أن تحن للعودة إلى مسقط الرأس. إنه المكان الأكثر أمناً..

- قررنا أن نزوجك يا راجي.. قالها عمه عابد وهو ينظر إلى أخيه بكر..

وقال بكر: الحياة بين الأشجار أهنأ منها بين السيارات. وابتسمت ريم قائلة ممعنة النظر في وجه عمها بكر: وبنات القرية قنوعات أكثر من المدنيات. ورأى راجي بأن عليه أن يرد على الفور فقال: أنتما في مكانة المرحوم والدي,, ولو كان حياً لما أرغم عليَّ وضعاً بالرغم عني.. الآن أحس بأنني مرتاح هناك في بيتي.. ولا أحس بحاجة إلى الزواج هذا العام.. المدينة تتيح أمامي فرص العمل.. والمعرفة.. والاختلاط.. وأنا أميل إلى العيش هناك.. هذه رغبتي.

ما أزال صغيراً.. المدينة تعلمني الكثير.. وأمامي نحو ثلاثة أرباع العمر الذي عشته.. أريد أن أمضي نصف العمر في المعرفة وبعد ذلك أستطيع أن أعيش دون مضايقات إن بقي في العمر، كل خوفي ينحصر على "سمعتي" لدرجة اتخاذ العزلة.. حتى أتعلم.. أنا خائف. قلق على اسمي.. ومستقبلي.. الجامعة لم تعلمي ما فيه الكفاية.. ثلاثة أيام اختلط فيها بالناس بتواصل أدرك معنى الأخطاء التي ارتكبتها.. عندما أجرب العيش عشرة أيام متواصلة مع الآخرين بدون حماقات سأقترب من ثقتي بنفسي على نحو أفضل مما أنا عليه.

ومع انتهاء كلامه.. قذف إليه عمه عابد حزمة نقود.. نظر إليها راجي أمام ركبتيه.. مد يده إليها.. رفعها إلى عينيه

- عشرون ألف ليرة.. حصتك من محصول القطن.. اشتر بها ما يلزمك.

محصول القطن.. لكل شيء مقابل مادي.. حتى شقاء الإنسان ودمه.. أجل أيها الإنسان في لحظات ما.. تتنازل عن قيمتك وتنحدر.. إلى الدرك الأسفل من القذارة.. يا أيها الإنسان الذي ينسيه المقابل بأنه إنسان.. الآن أكتشف أن الاقتصاد هو الشيء الوحيد الذي يتمكن من غدر الإنسان.. الاقتصاد هو الذي يتمكن من تجريد الإنسان من أسمى معنى..

وأعاد راجي حزمة النقود إلى عمه:

لستُ بحاجة إليها.. لا تلزمني.. هذه هي الحقيقة.. ولا أرغب في وضعها في صناديق أو تحت الأرض.

- أجل يا راجي.. هذه الخرقة ستجردك من إنسانيتك.. ستنسيك راجي.. راجي الطفل من يركض خلف الحياة ينسى طفولته.. ينسى اسمه.. ينسى الأرض تحت قدميه.. وأنت لا تريد أن تنسى.

الاقتصاد لا يحل إشكالات الإنسان الكبرى.. لا يحل غير حاجات النفس الصغرى الآنية التي لا تنتهي وتكون دوماً مكررة.. وفي كثير من الظروف يخلق إشكالات

اجتماعية مربكة.. وأعاد عمه الرزمة إليه.. أمسك راجي بها.. نظر إليها بتمعن وأعادها إليه مع عبارة: ما تلزمني نقود يا عمي.. بكرة أرجع لبيتي.

كانت هذه هي العبارة الأخيرة التي يقولها راجي ونهض. نام في بيت راجية حتى الصباح، واتجه على الفور إلى المدينة.

هاهي رسالة أخرى تستقر في العلبة البريدية.. سحبها راجي ونظر إلى المرسل: إنها من المصدر نفسه.. نظر إلى علبة بريدها.. وألقى نظرة سريعة إلى الساحة المكتظة بالناس.. تخيلها تنظر إليه.. ولم يعجبه الموقف أخذ الرسالة واتجه إلى البيت:

"لم أكن أعلم أنك ستكون بهذه القسوة وتهمل رسالتي الأولى إليك.. وتترك كفي ممدودة دون أن تجيب عليها.. أرجوك.. أن تردَّ عليَّ"

قلَّب الصفحة وكتب على الجهة الأخرى.. "أنا لا أرغب في هذا النوع من العلاقات.. هذا ما لديَّ" وتذكّر بأن الرسالة موجهة إلى شخص يرغب بهذا الأسلوب السخيف في بناء العلاقات. شطب السطر وكتب تحته: "هناك خطأ في كتابة العنوان.. أنا لستُ عبد الله"

تأمل السطر.. وشطبه مرة أخرى..

تنازل ورقة بيضاء وكتب في منتصفها: "ربما نكون أصدقاء في وقت ما.. ولكن أرجو أن تؤجلي الآن" وكتب "ر..." لم يكمل كتابة راجي.. تذكر أن المرسل إليه هو: عبد الله.. شطب على حرف الراء.. وكتب "عب..." وشطب مرة أخرى: لكني لن اكذب. تركها دون اسم ودسها في مظروف.. كتب عنوانها.. وكتب على الوجه الآخر رقم علبته فقط.. واتجه في الصباح إلى مبنى البريد.. وضع الرسالة وعاد دون أن ينتظر ساعة واحدة في السوق.

لتذهب.. إنها تجربة سرية.. سأحس بأنني على علاقة بامرأة لن أراها.. لن أخسر كثيراً من وقتي.. وهي أيضاً لن تخسر.. سأتسلى.. وستتسلى.. دقائق معدودة في كل أسبوع.. أو كل شهر.. في الليل قبل النوم بلحظات.. سأقرأ رسالتها وأجيب عليها في لحظات..

سأحس بأنني أنتظر شيئاً مجهولاً.. وأني أتحدث مع شخص من خلف جدار.

عليَّ ألا أخدعها.. ولا أكذب عليها.. أكون صريحاً وعندما لا أرغب، سأعلمها بأنني سأنقطع عن مراسلتها حتى لا تهدر وقتها بانتظاري.. حتى لا أسبب لها لحظة ألم.

راجي.. اقرأ يا راجي.. اقرأ بوعي.. وتأمل يا راجي.. المعرفة تجلب السعادة.. تجلب الحظ.. تجلب الحياة.. أحمق ذاك الذي يظن أن صاحب العقل يشقى به وصاحب الجهل ينعم بجهله.. إنه مفهوم خاطئ.. الجهل يجلب الفاقة والفقر.. أن تفكر لتخرج من الجهل.. خير من أن تبقى جاهلاً ويُصدّي عقلك.. هذا العقل الذي تعقد عليه معجزات.. أمراض العقل فضائل.. وأمراض الجهل رذائل.. هذه عظمة الحياة.. تُريك كل شيء.. كل شيء يا راجي.. أنت تستغلها يا راجي.. وتعتصر كل طاقة فيها وفيك تجلب اكتشاف جديد..

وبغتة تأتي كلناز.. بحضور مدهش.. كلناز صاحبة الرسالة.. راجي.. امرأة تمد إليك يدها.. لماذا لا ترد.. أنت أحمق يا راجي.. ما تزال تتلقى الدروس.

أنا أرفض المرأة.. في هذه الفترة العصيبة من حياتي.. لستُ مهيأ لاستقبال المرأة.. ستقتلني.. يمكن لحضور المرأة في حياة الرجل أن يكون قاتلاً بعض الأوقات وهذه أوقات غير قابلة لاستقبال المرأة.. إنها امرأة يا راجي.. امرأة تشبه "زاهية" التي تعتلي السطح المقابل نصف عارية تنشر الثياب وتغريك بحركاتها "الأنثوية".. وتقذفك بالحصى.. امرأة.. هذه مشكلة أخرى تضاف إلى مشكلاتك.. كلما تحاول أن تنسى المرأة.. فإنها ما تلبث أن تُذكّرك بنفسها تخيل يا راجي.. أن تجلس امرأة بجانبك.. ثلاث ساعات متواصلة.. تخيل عودتك من العمل.. ووجود كائن أنثوي يكون في غرفتك ينتظر عودتك باللحظات.. تجلس فيجلس معك تأكل.. يأكل معك.. تمشي.. يمشي معك.. تنام.. ينام معك. تصور أنها لا تخرج من غرفتك شهراً كاملاً بكامل أيامه وساعاته ولحظاته.. تصور أنه سيغدو شريك حياتك.. وأنت تنتظر يوم العيد حتى تترك بيتك وتذهب إلى بيتها.. عندئذ ستشعر بلحظات العودة إلى حياتك.. وبعد أيام ستعود تفسد عليك كل شيء.. وستنجب أناساً.. سيكبرون.. سيمتصون عمرك ليعيشوا.. المرأة.. ما المرأة..؟.. هل بمقدور امرأة أن تغتال كل هذا العمر الثري.. أن تأتي وتفسد كل حياتك وتهدّ أحلامك.. إي يا راجي.. سيموت الحلم.. يموت التأمل.. تموت الكتابة.. يموت العقل.. وسينتهي كل شيء.. تحترق دفاتر عمرك.. تجف أقلامك.. ستغدو كأي رجل بائس من حياته.. يمضي في الشارع ويفكر بالمرأة.. التي تركها في البيت.. ستحيلك المرأة إلى رجل محطّم.. منهار.. الكتابة تبني.. وتأتي والمرأة لتحرقها.. انظر إلى زاهية يا راجي.. لقد أعطاها زوجها كل حياته.. ولا يكفيها.. إنها تبحث عن رجل آخر.. ولن يكفيها.. لم تستطع ليوم واحد أن تشعرك بأنها ليست شكلاً.. ديكوراً.. بلا مضمون. إنها تبدو أمامك مثل ورقة صفراء وتريد أن تنفخ عليها لتطير.. وتدخل غرفتها من النافذة.. أنت الذي تتحدى العالم كله..

ترضخ أمام نزوة.. لا يا راجي.. تذكّر يا راجي طفولتك.. عد إلى تلك المشاهد.. التي احتفظت بها ذاكرتك.. أنت الآن في الخامسة من عمرك..

هاهو حمار يظهر على مشهد.. يسقط تحت ثقل برميل ماء.. وهاهي المرأة التي تقودهُ.. ترفع البرميل من ظهره إلى رأسها.. تحمله وتمضي غير آبهة بأي ثقل.. ذاك الثقل الذي أنهك الحمار ذاته.. وهاهو زوجها يظهر على المشهد.. في مدخل الدار.. ينظر إليها ويتخيل أنه يعجز على حمل البرميل على رأسه.. ويصارحها دون خجل أو طعن في رجولته.. وحدها المرأة التي استطاعت أن تتخلى عن أنوثتها.. ولكن زاهية لا تستعد أن تتخلى عن أنوثتها.. التي تطاردها كالشبح.. عندما تصعد الباص.. يقوم رجل ما فتجلس وتحس بأنوثتها.. وعندما تدخل إلى مكان ما.. تتلقى الابتسامات الكاذبة وتعُامل بخصوصية.. فتتذكر أنوثتها.. إنهم يتحدثون معها بليونة وشفاه مرخية.. يوحون إليها بأنها مخلوق ناقص.. بطريقتهم في التعامل معها.. وتضطر أن تجيبهم من الموقع الذي وضعوها فيه.. هنا في المدينة يصرون على أن يذكروها بأنوثتها.. المقترنة دوماً بالنقص.. وفي القرية يصرون على أن يُجردوها من هذه الأنوثة.. كانوا يشتمون النساء مثلما يشتمون أي رجل.. ويتشاجرون معهن بالأكف والرفسات.. يفرضون عليها القيام بالأعمال الزراعية المضنية نيابة عنهم.. وكنَّ يستجبن وينسين أنوثتهن.. ومع التقدم في العمر يتخلين عن أنوثتهن.. وهذا التغيير لا ينحصر في المضمون فقط.. بل يشمل مظهرهن الخارجي وغالباً ما كانت المرأة هناك ترتدي فروة زوجها وبنطاله وكنزته وحذاءه.. فقط ساعة واحدة هي ساعة منتصف الليل تذكرها بأنوثتها.. عندما تمتد يد الرجل إلى جسدها.. في تلك الساعة تستيقظ أنوثتها.. وتستجيب ليد الذكر.. فتعيش ساعة واحدة من الأنوثة.. تلك تكون أخصب وأمتع ساعة.. وتستمتع بها كما لم تستمتع بها أنثى قبلها على وجه الأرض.

ها أنت عدت إلى الغرفة الكئيبة مرة أخرى.. الغرفة العارية.. أي شيء تنتظر.. الدراسة انتهت.. وأنت تكبر.. لا جدوى من حياتك يا راجي.. إنه فراغ قاتل هذا الذي يتلبس حواسك.. لا شيء أمامك.. عليك أن تكون شجاعاً وتستسلم للموت.. الموت راحة أبدية رغم سوداويته.. مثل "إبرة التخدير ترعب عندما تنغرز في الجسد لكنها تريح الإنسان من الإحساس بالألم الأكبر الذي لا يمكن له أن يتحمله":

وداعاً أيها العالم.. وداعاً لكم.. وداعاً يا كتبي.. يا قيثارتي.. يا أشرطتي.. يا مسجلتي الكئيبة.. وداعاً.. لقد انتهى كل شيء.. ماتت الحياة فيَّ.. إنها الخطوة الأخيرة من خطوات التردد واليأس.

لا شيء لي في الحياة أودعه.. لا أم.. لا أب.. لا صديق.. لا حبيبة.. لا شيء على الإطلاق.. ما أجمل ميتة كهذه.. لن يبكي أحد عليَّ.. لم أعد أحتمل الحياة.. بلغ بي الجرح أقصاه.. أترك الحياة وأرحل إلى نور الأبدية.. كل شيء ضاع يا للخسارة الفادحة.. إنني الآن في أتعس لحظات الحياة.. إنني مقبل على الهوة السحيقة.. بدون أسف.. على أيام الجوع.. الحرمان.. الطعنات.. والأحلام التي لم تتحقق.. مات الأمل في الروح.. ماتت الرعشة الأخيرة من رعشات الحياة.. في هذه الغرفة المغلقة سأموت.. ولن يعرف بموتي أحد.. ستمر السنوات.. وألبث في فرشتي وإذا ما صدف وحطموا بابي.. سينقلون ما بقي من جسدي إلى مكان مظلم آخر.. وسيتحدثون للجميع عن عزلتي.. عن رسالتي الأخيرة لا بد أن هذه النهاية.. إنها إشارة الله الأخيرة إلى روحي.

استرخى راجي في فرشته.. واستسلم للموت.. أغمض عينيه.. نسي كل شيء في الحياة.. ولبث يتذكر شيئاً واحداً.. هو أنه سيموت بعد لحظات بسعادة العالم.

هذه الحياة التي جئتها.. عليك أن تتحمل كل شيء. هي سنوات قليلة ستقضيها وستموت.. مت بهدوء.. دون ضجيج.. دون أي فضائح.. وبعد يومين فقط من موتك ستكون "نسياً منسياً".. ليس بوسعك إلا أن تتجنب الآخرين.. كي تعيش بهدوء..

وكي لا تضطر للكذب والنفاق.. والجشع وإغراءات الخارج.. يمكن لك أن ترتكب أي خطيئة بحق شخص ما عندما تخرج.. لكن هنا لن يحدث هذا.. الآخرون دوماً يأتون ويجلبون الشر معهم.. هنا يمكن لك أن تعيش في عالمك.. وتفعل ما تشاء بين هذه الجدران المقفلة.. المسألة تخصك.. فقط.. إن أي خطيئة ترتكبها لا تضر أحداً ستكون شخصية تخصك وحدك، لو ألحقتَ الضرر بنفسك.. أنت نفسك ستدفع الثمن.

وعلى الرغم من هذا.. لا تسرف في الحماقات.. ليس بوسعك أن تحتفظ بشيء إلى الأبد.. اللحظات هي التي سترقص حولك وهي هاربة لن تتمكن من الاحتفاظ بلحظة واحدة لحظتين. ستدفع عمرك لحظة بلحظة في جميع الأحوال.. إي يا راجي.. لا شيء لك في هذه الحياة كلها سوى عزلتك.. حافظ عليها.. حتى لا تخسرها.. وإن خسرتها خسرت كل ما تملك.. ولم تملك شيئاً بعدها حتى لو أصبحت المدينة كلها لك.. شيء تافه أن تكون المدينة كلها لك.. شيء سخيف أن تكون حارساً عليها.. هاهو الصمت الجميل يحتفي بحضورك.. وعند ذاك عندما تستسلم إليه سيخلص لك ولن يدعهم يتحدثوا عنك بسوء.. سيسهّل نسيانك عليهم وهذا أنبل شيء يقدمه إليك هذا الصديق الوفي.. عندما لن يكون بمقدور أحد أن يقدم لك شيئاً.

الشر دوماً يأتي من شخص قادم إليك.. ويمكن أن يجعلك شريراً في أحلك الظروف كما يصنع شرّيروا العام.. ينتشي عندما يجدك مستنفراً.. ويستاء عندما يجدك آمناً.. هادئاً.. لا ينصرف قبل أن يعكّر عليك أمنك.. سيجعلك خصماً لآخر.. وسيجعله خصماً لك.. وسينتقل بينكما.. يُنقل ما يشاء بإضافات قاسية بحقكما.. إنه الحقد الأعمى الذي يملأ النفوس.. هذا الحقد الذي ترفض من عمقك أن تشارك فيه.. وبقوة هذا الرفض ترفض هؤلاء أنفسهم.

كن شجاعاً واتخذ القرار.. ما أعظم أن تعيش سنوات عمرك بدون أحد. كن مع نفسك ستتعرف عليها وعندئذ ستتعرف على العالم من خلالها.. معرفة العالم لن تقدم شيئاً لشخص يجهل نفسه، لشخص يعيش حالة اغتراب مع حواسه، عندما تمد

الخطوة تجاه نفسك، ستكون تلك الخطوة هي الأولى تجاه معرفة العالم.. ستدرك قيمة تعلّم شيء ما.. عندما تتعرف بنفسك ستتهيأ لاستقبال المعرفة الثمينة.. ستدرك أن الإنسان مليء بالألغاز.. مليء بالمعرفة، مليء بالدهشة، كل إنسان عالم مغلق من الأسرار.. من أسرار الطبيعة وكل الكواكب وسكانها الإنسان ليس فارغاً يا راجي وكلما مدّ خطوة نحو المعرفة اتضحت أمامه الأسرار.. كلما استطعت أن تصارع الشر وتنتصر على قوته ستمد خطوة جديدة نحو المعرفة.. نحو الإشراق البشري.. عليك في البدء أن تنتصر على قوة الشر.. على النزعات العدوانية، وأهم معركة تقودها هي معركتك مع نفسك في سبيل انتصار قوة الخير على قوة اشر لديك، ستلبث كل الأبواب مغلقة قبل انتصارك العظيم، وإذا انتصرت قوة الشر يا راجي، سأغسل روحي منك، سينطفئ نور الإنسان من خلاياك.. سيسري ظلام الشر الحالك في عروقك ويستوطن كل ذرة فيك. أنت عالم كامل من الجهل يا راجي.. يستوطنك الجهل، هذا الجهل الذي يفتح أمام حواسك أبواب الشر.. يعمي بصرك ولا ترى غير الظلام.

ستركض طويلاً يا راجي نحو نفسك.. نحو خطوات التخلص من ثقل الجهل عليك.. الجهل الذي يملأ عروق الإنسان عدوانية ويجعله يدور حول نفسه في دائرة العدوانية.. المعرفة يا راجي هي الماء التي تخفف من لهيب العدوانية في الروح.. كل واحد يمارس عدوانيته بطريقته الخاصة.. خالك مارس عدوانيته على أخته.. أبوك مارس عدوانيته على زوجته.. عمك يمارس عدوانيته على أموالك.. وعندما تنظر حولك سترى أشكالاً متفاوتة.. عدوانية القتل.. عدوانية الاغتصاب.. عدوانية الجنس.. عدوانية السرقة.. عدوانية الوشاية.. عدوانية الاحتيال.. تبلغ العدوانية ذروتها في القتل قتل إنسان كامل.. هو عالم من الأحلام والأمنيات والحب والكفاح والشهوات.. إنسان مليء بالتفاصيل والعلاقات والصداقات والذكريات والأسرار.. وتنحدر العدوانية في درجاتها إلى اشتهاء امرأة وممارسة العادة السرية، وهي حالة اغتصاب قسرية بحق امرأة في الخيال.. وستسأل نفسك وأنت في أعماق عزلتك

المنسية في رحلتك البعيدة.. البعيدة عن فضاءات يمكن لها أن تلقي بظلالها على عدوانية الإنسان ويبقى مشرقاً بقوة البناء الخفية.. هناك في زوايا ظلمتك ستستيقظ أسئلة لن تجيب عليها..

يصر على العزلة.. يسبح في فضاءات الفراغ يغلق الباب على نفسه وينسى بأنه يعيش في مجتمع.. تتوالى الطرقات على بابه.. يوهم نفسه بأن الطرق على أبواب وهمية.. . ويزداد عناداً في التمسك بالوحدة حتى النهاية: لن أفتح وإن تحطمت كل الأبواب ما أروع أن أكون بعيداً عن العالم.. ما أروع ألاّ أسمع صوت أحد ولا يسمع أحد صوتي.

تمضي الأسابيع والشهور وهو ما يزال في غرفته فقط زاهية تقذف إليه من خلف الجدار أرغفة الخبز والطعام في هذه الغرفة سيمضي حياته إلى أن يموت.. لقد اتخذ القرار.. ولن يخرج حتى لو مات جوعاً.

راجي عبد الكريم المتخرج منذ أربع سنوات من كلية الهندسة ينظر إلى العلاقات الاجتماعية بازدراء: لا نعقد علاقات خاصة مع الآخرين إذا أردنا أن نعيش بسلام. في عزلتي أتجنب إشكالات الحياة وأكتشف أسرارها في وقت واحد ولا أصدق أن أحداً يكتشف خفايا الحياة بقدري في عزلتي هذه. العزلة هي الحياة الحقيقية الثرية لستُ أنا مَنْ يُعاني النقص، لستُ بحاجة إلى أحد لا يوجد ما يُسمى بالمجتمع المجتمع هو المجموع الذي مات من آلاف السنين أما أنا ففرد لستُ معنياً بالمجتمع المجتمع هو المرض إننا أفراد ولسنا مجموعة أفراد لا أقبل أن أكون في دائرة المجتمع أنا سأضع المجتمع في دائرتي إننا نواصل العادات التي كان يقوم بها أولئك الموتى حتى لا ننسلخ عن جلودنا لكننا لسنا موتى أفهم شيئاً واحداً الآن هو أنني موجود ومسؤول عن وجودي عليَّ أن أكون بمفردي عندما يفرض الخارج عليَّ أوضاعاً تتناقض مع ميولي وطريقتي في الحياة، وأفهم أيضاً أن لبقاء الفرد بمفرده "قداسة" في حالة

شديدة الخصوصية. محاولة للاقتراب من أخطر الأفكار المغروسة في المخيلة.. عندئذ فقط.. يشرق العقل.. ينفتح كاملاً.. لأول مرة.. عندما يكون "لوحده" وأحترس من مداهمة أي أحمق لهذه الحالة الخاصة لمجرد لوي قبضة الباب أو رفسه. لأنني في تلك اللحظات أكون على اتصال مع أكثر المخلوقات اللامرئية "لا مرئية". لا أكون كأولئك الذين يسعون لإضاعة أعمارهم.. أولئك الذين لا يدعون فرصة واحدة لإزعاج الآخرين للذهاب إلى البيوت وطرق الأبواب والنوافذ.. أولئك الحمقى.. الذين يسلبوننا أعمارنا.. وحياتنا.. الضاجرون من أعمارهم وحياتهم. يعتقدون أن البشرية كلها مهيأة لاستقبالهم لحظة يشاؤون.. ويختارون الذين سيزورونهم.. ويقولون بأصوات عالية: غداً يوم عطلة.. سنذهب صباحاً إلى (س) وظهراً إلى (ج..) وعصراً إلى (ح..) ونتعشى في بيت (خ..) ونسهر في بيت (ش..) هكذا يخططون بعشوائية ويغتالون أوقات الآخرين.. بمجرد أنهم ألقوا بسلام لمرة واحدة عليهم. أو تعارفوا في شارع ما.. أو في حافلة النقل الداخلي.. إنهم يهدرون أوقاتهم وأوقات إخوانهم.. إنهم الفاشلون الحقيقيون. أما بالنسبة لي.. يمكنني البقاء هنا.. ورؤية كل أسرار حياة الإنسان.. من هنا أرى كل الخفايا من ثقب صغير في الذاكرة اللامتناهية.. ولا أشعر بذرة طمأنينة عندما أكون هنا.. ويكون الباب مفتوحاً.. ذاك الباب الذي يهيئ الاقتحام عليَّ.. وإفساد كل اكتشافاتي ولحظات قداستي الثرية التي اعتصرها من بقايا أيامي وساعاتي.. وتدر عليَّ بأثمن الكنوز.

السبيل إلى معرفة العالم يكون عبرك.. الهجرة الأثرى التي عليك القيام بها، هي الهجرة إلى ظلماتك.. عندما تتعرف بنفسك، تتعرف بالعالم.. تتعرف بالله.. لا تدع من يفسد رحلتك خلال عزلتك الداخلية.. وعندما تعود من رحلة العمر الثرية ستقدم للآخرين الحب.. ستقدم إليهم نفسك.. تهديهم كل ما لديك.

كل ما يمكن فتحه بغتة تم إغلاقه.. والجدران امتلأت بقطع زجاجية وأي يد تمتد لتعين جسداً على القفز.. فإنها تفشل.. لا يوجد ثقب في الجدران أو الغرفة إلاّ

وأغلقه.. ويفكر أن يُسقّف الحوش كله حتى لا يرى السماء.. والضوء.. إنها حرية كبرى تلك التي يحسها في هذه العزلة. تنفتح في خياله أبواب مغلقة.. ويتواصل مع أسرار لا يمكن لغيره أن يفكر بها.. يدوّن كل اكتشافاته على دفاتر ضخمة.. يكتب مئات الصفحات.. وإذا مر عليه يوم دون أن يجلس ويكتشف سراً ما.. فإن ذلك اليوم يُعد مشؤوماً وخسارة لا تعوض.. كل ما يتوصل إليه يحتفظ به لنفسه.. ويعتبر الكتابة حالة شديدة الخصوصية.. لا يفكر أن يبوح بكلمة واحدة لأحد.. يرى أن عقول من حوله لا تحتمل مفاجآته المدهشة: العالم كله سيخضع لإعادة البناء أمام تصريحاتي.. وسيتبدل الإنسان أمام ما توصلت إليه حتى الآن.

في هذه الغرفة المحكمة يواصل راجي تأملاته وكتاباته.. وعندما يفرغ.. يقرأ حتى يدركه النوم.. ويستمع إلى المذياع ساعة واحدة يتواصل مع ما يجري في العالم.. مساكين هؤلاء.. مرضى.. يلحقون الضرر بأنفسهم.. كم يبدون أقزاماً أمام نضجه.. أمام صفحة واحدة من صفحاته.. لا أحد يفكر يا راجي رغم هذه الأعوام المتواصلة.. ما زال العقل نائماً لم يستيقظ.. يقظته.. تُبشر بالخلاص الأبدي سيصبح العقل مثل عصفور في كفك.. كن أكثر ثقة بقدراتك يا راجي.

قبل الغروب بلحظات وقف راجي أمام باب الحوش وفتحه.. عندئذ وقع بصره على شخص.. تراجع بذعر، أراد أن يقاوم، ولم يستطع. وبدا الخروج مستحيلاً، أحس بأن الناس كلهم ينتظرون خروجه ليتفرجوا عليه.. ليوبخوه.. ليروا أي شخص هذا الذي يرفضهم. وعرف أنه لم يعد يرفض الخروج، بل أنه لم يعد يجرؤ لو رغب. وعاد إلى غرفة الكتابة.. "هل أغلقتَ باب الحوش" وركض إليه.. تفحصه، رآه مقفولاً.. أراد أن يتأكد ففتحه وأعاد غلقه.. ثم رجع. في منتصف الطريق خطر له بأنه لم يغلق الباب، وعاد إليه رآه مقفولاً، ومرة أخرى فتحه وأغلقه من جديد بالقفل، وبعد لحظة فتحه مرة أخرى كي يطرد الوساوس وأقفله بالمفتاح إلى آخر طرقة إقفال.

عاد إلى الغرفة استلقى على ظهره وبعد دقائق خطر له مرة أخرى بأن الباب لم يقفل قال: "لكنني أقفلته"

- ربما شردتَ بشيء آخر وتركته مفتوحاً ظاناً بأنك أقفلته.

- ليكن.. لن أنهض – ولماذا لا أنهض.. سأبقى قلقاً حتى الصباح.. سأتأكد في لحظة وأعود مستقراً.

ونهض.. وصل الباب.. مدّ كفه إلى القفل تأكد من إغلاق الباب بإحكام.. وعاد بخطواته إلى الوراء.. تذكر: كيف تأكدتُ من القفل.. كان علي أن أسحبه نحوي بقوة لأتأكد.. ربما يدفعه أحد من الخارج وينفتح.

- لا.. لا يا راجي لن ينفتح.

وتوتر مرة أخرى.. تعرّق جسده.. اضطربت معدته ولم يحتمل فنهض مرة أخرى في انهيار نفسي حاد وجرّ الباب فلم ينفتح.. بصق عليه.. وعاد.. رأى صحنين عند العتبة.. فحملهما إلى المطبخ ضمهما إلى الصحون المتسخة وخرج، ثم خطر له: لماذا لا تغسل الصحون الآن يا راجي؟

- لكنها لا تلزمني.

- وقد تموت وتبقى هناك متسخة.. سيقولون بأنك كنت قذراً.

وعاد إلى المطبخ.. غسل الصحون كلها.. ثم غسل المطبخ ورتبه. عاد إلى الغرفة ليستريح وقع نظره على فتّات خبز وبقايا طعام.. حمل المكنسة ورتب الغرفة.. تذكر بأنه لم يكنسها منذ اتخاذ قرار العزلة.. قد تموت يا راجي.. ليكن كل شيء مرتباً. وراح يرتب الكتب ويضع كل اسطوانة كاسيت في علبتها: "هل تأكدتَ من إغلاق الغاز"؟ هرع إلى المطبخ.. أدار المفتاح فصدرت رائحة الغاز، ثم أغلقه.. وفتحه مرة أخرى.. وأغلقه بقوة ثم فتحه قليلاً.. وأغلقه بتمهل، نظر في المطبخ.. لملم بقايا أوساخ بأصابعه وعاد إلى الغرفة.. وتذكر بأنه لم يغسل يديه من آثار الأوساخ التي التقطها من المطبخ فعاد وغسل يديه بالصابون.. ثم دخل المرحاض

لبث نحو ربع ساعة وخرج عاد مرة أخرى يغسل يديه بالصابون.. كانت الساعة قد وصلت إلى الثانية بعد منتصف الليل فتمدد على فراشه منهكاً يُغالب عينيه النعاس.. تذكر بأنه لم يكتب شيئاً ولم يستمع إلى المذياع.. فنهض لكنه شرد بشيء آخر: هل وضعتُ كل اسطوانة في علبتها؟ وبدأ السؤال يقلقه.. أراد أن يهدئ نفسه قليلاً فنط إلى الأشرطة التي يتجاوز عددها الثلاثمائة كاسيت ونظر إليها واحدة واحدة بتفحص وكانت كل واحدة في علبتها.. ثم خرج مرة أخرى وتأكد بأن الغاز مغلق ومن هناك تأكد من إقفال الباب.. وعاد إلى الغرفة وهو يشعر بثقل في روحه لم يستطع النوم، أحس برغبة شديدة في الكتابة رغم نعاسه الشديد فحمل القلم وبدأ يكتب ما يحدث معه من تفاصيل لهذا اليوم وهذه الحالة التي داهمته فجأة والتي لا يستطيع أن يسيطر عليها استغرق ذلك إلى الخامسة صباحاً عندئذ فتح المذياع واستسلم لنوم عميق.

عندما استفاق في الثامنة والنصف صباحاً.. أدرك بأنه لم يتخلص بعد أعراض تلك الحالة.. فنهض وغسل ثيابه.. ثم أعاد غسلها.. وصار يضع كل شيء في مكانه.. ومرة أخرى أعاد كتابة ما كان قد كتبه في الليلة الفائتة، وفي الواحدة ليلاً ذهب ليتأكد من إغلاق الباب.

ها أنت يا راجي تستسلم لقوة الشر وتفسح لها الأبواب لتسكنك.. إنها ستقتلك يا راجي.. ستقتلك.. لن تدع لك مجالاً للتنفس.. الشر يبحث عن إنسان ضعيف ليستبد به.. يدخل إليك الشر من النافذة، يخترقك مع الشهيق ويسكن حواسك.. فقط قوتك الكامنة الخفية بمقدورها أن تطرده.. هل جئت إلى هذا العالم لتغسل الصحون وتعيد إغلاق وفتح الباب عشرات المرات كالمهووس.. ثمة مهمات أسمى جئت لها يا راجي.. الباب الذي فتحته لن ينغلق قبل أن يقضي عليك.. هاهو الشر سكنك.. وليس من سبيل إلى طرده غير عودتك إلى الفوضى.. غداً سيأتي من يتولى هذه التفاصيل ويتفرغ للقيام بها. سوف تطرد قوة الشر التي استعمرتك.. أجل تطردها عندما تتصارع معها بذكاء.. عندما تنتصر عليها.. سوف تطرد قوة الشر التي استعمرتك..

أجل تطردها من حواسك عندما تبدأ في مواجهتها.. عند ذاك ستعلن ضعفها أمام قوتك.. ستعلن ضعف الشر أمام قوة الإنسان الخارقة.. وكلما تبدّى ضعفها، عادت إليك قوتك، ومن هذه الانطلاقة ستكون قوياً أو ستكون ضعيفاً.. ستكون مواجهاً أو ستكون انهزامياً، أنت جئت إلى الحياة.. فازرع وردة قبل أن تخرج منها، لا تزرع شوكاً في روحك.

استفاق راجي في الثانية عشر ظهراً ضبّط مؤشر المذياع وصدحت أغنية.. طاب له أن يستمع إليها.. وبعد قليل ذكّر مذيع بالساعة واليوم والشهر والسنة وما حدث في مثل هذا اليوم خلال القرن الفائت.. فعرف راجي بأن سنة مرتْ على عزلته.. سنة كاملة لم ير الخارج.. وأحس بألم في رأسه.. نهض.. بدا الجسد ضعيفاً على حمل الرأس.. مد يده إلى رأسه ولم تصل اليد.. عندئذ عرف بأن رأسه خرجت عن حجمها المألوف.. وارتعب.. فتح ذراعيه وبالكاد استطاع أن يتلمس صدغيه: هذه مشكلة جديدة تُضاف إلى جملة مشكلاتك يا راجي. وضع رأسه على الوسادة التي بدت كلفافة تبغ تحت حجم الرأس: ماذا ستفعل بهذه الرأس يا راجي..؟.. سيذعر الناس من حجمه.. سيجعلك مسخرة.. ستشتهر وأنت تصر على ألا تترك ما يُذكر بك للحظة واحدة.. هاهي "الفضيحة" الكبرى.. سيصفقون لك في الطرقات.. سيقذفك الأطفال بالحصى.. أنت الذي لا ترغب في أن يراك أحد ولا تراه.. سنة كاملة مضت.. وتوصلت إلى اكتشاف أشياء أخرى.. أضفتها إلى مكتشفاتك.. أصبحت أوعى.. وأنضج من السنة الفائتة.. مفهومك لوجودك غدا ناضجاً.. لم تعد الأفكار تتعب رأسك.. لم تعد الألغاز تصر على غموضها.. لقد انفتحتْ أمامك الحياة.. وتستطيع أن تعيشها بسوية إذا أردت.. سنة كاملة لم تستحم.. لم تحلق شعرك.. ذقنك.. لم تقص أظافرك.. لم تذق حبة فاكهة ولا قطعة لحم.. ولولا حسنات زاهية لكنت الآن ميتاً بالجوع..

راجي هذه نهاية بائسة.. عليك أن تتوقف عن التأمل والكتابة ليومين حتى لا تموت قد يعود رأسك إلى حجمه المألوف عندما يرتاح.

استرخى راجي.. وقرر الراحة وعدم التفكير بأي أمر.. وبعد مرور ثلاثة أيام.. أحس السيد راجي بان رأسه قد صغر.. عاد إلى حجمه الطبيعي.. وبسرعة دخل الحمام.. حلق ذقنه.. قص أظافره وبعد قليل خرج.. ارتدى ثيابه.. إي يا راجي.. ستخرج.. سترى نور العالم.. والشمس.. والمراهقات الجميلات اللواتي يذهبن إلى

المدارس.. هاهو الإنسان يمر بمراحل.. لا يبقى ثابتاً.. وهنا عظمته.. هنا سر استمراره.. الحياة مد وجزر.. فقط الموت يعني الاستقرار.. الشرط المسبق لوجود البحِار هو المد والجزر.. وهكذا يا راجي الحياة، الشرط لوجودها هو الحزن والسعادة السعادة الأبدية تقتلك.. كذلك يا راجي الحزن الأبدي.. إذن ألست من لحم ودم..؟.. حتى الحجارة تنفعل في أوقات معينة وتشرق في غيرها.. هل تريد أن تعيش ثلاثين سنة في ثلاثة أيام وفي هذه الأيام تأخذ ثلاثين سنة لماذا لست صبوراً.. ولا تنتظر أن تعيش الحياة سنة بعد سنة. كل سنة تنفتح لها أبواب جديدة كانت مغلقة، هناك في الطرقات.. في قلب المدينة روائح عليك استنشاقها.. لتعود مرة أخرى وتسأل: لمصلحة من.. هذا التفسخ مَنْ الذي يشجع انهيار الأخلاق,, تهميش الأسوياء.. لمصلحة من تتحول المدينة إلى بيت دعارة كبير. هناك ربما ستصرخ بأعلى صوتك في قلب المدينة: كفى.. إلى الآن . ربما تكون شهيداً سترى الكثيرين سبقوك.. وإن أصبحت مجنوناً أيضاً سترى الكثيرين الذين سبقوك. ما أكثر الشهداء وما أكثر المجانين. ولن يجيب أحد عن السؤال لأن لا أحد يريد أن يكون شهيداً ولا أحد يريد أن يكون مجنوناً.

كل واحد لديه استعداد ثوري للانهيار.. لا للشهادة أو الجنون.. في أي لحظة يستعد أن ينهار أخلاقياً.. إنسانياً.. ينسلخ.. لكنه لا يجرؤ على الشهادة أو الجنون ربما تصادف مجنوناً مثلك.. هامشياً مثلك يترنح على رصيف ما.. وتعرف بأنك لست الوحيد الذي له هذا المصير.. وتعود مرة أخرى إلى البيت تغلق الباب على نفسك ألف عام. وتكتب على بابك: أنا غسلتُ يدَي منكم.

في السابعة والنصف صباحاً امتدّت كف راجي إلى قبضة الباب.. فتحه قليلاً.. مدّ رأسه وعاد إلى الداخل: "ماذا سيقولون لو رأوك يا راجي"؟! مدّ خطوة ووقف أمام الباب: عد يا راجي إلى مكانك. وراوده شعور مَنْ يخرج من القبر.. ويواجه الناس في حارته.. تقدّم خطوات في الشارع تاركاً الباب مفتوحاً، وعاد يهرع.. أحس بأنه لن

ينجح.. دخل البيت وأغلق الباب.. وعاد مرة أخرى إلى الباب.. مدّ خطوة بثقة.. رأى خاله المعتوه يقف في الشارع.. وعاد مسرعاً إلى الداخل.. فتح المذياع.. وبعد قليل أغلقه.. رشف رشفة ماء ودنا مرة أخرى إلى الباب. خرج بتلقائية مفتعلة.. سار خطوات عديدة في الشارع.. أحس بأنه لا يستطيع أن يكمل وما شجعه على العودة تذكره لبقاء الباب مفتوحاً والمذياع أيضاً.. عاد بهرولة وقد تعرّق جسده وأحس بإنهاك تام يقتحم مفاصله ويلقيه في الفراش.. بعد مرور عشرة أيام من المحاولات الفاشلة في الخروج استطاع أن يقنع نفسه بضرورة الكفاح من أجل الخروج ولو ليوم واحد، في الساعة التاسعة صباحاً خرج من بيته بعد قضاء أكثر من سنة في عزلة كاملة.

وصل السيد راجي إلى مبنى البريد.. فتح علبته.. سحب منها أربع رسائل.. وهبط درج المبنى.. وقف في موقف النقل الداخلي.. أحس بأنه كان ميتاً، تأمل الوجوه.. هي الوجوه ذاتها.. الكآبة ذاتها.. كلهم يركضون خلف النقود وينسون أنفسهم.. لا أحد يستطيع أن يجمع المال كله.. ولفت نظره رجل يترنح في منتصف الطريق.. يشتم الجميع.. يشتم العالم كله.. ويتمدد على الطريق.. يصرخ.. أين ابن الكلب الذي يدوسني بسيارته؟ يتجمع الناس حوله.. ويخرج مسدساً ويطلق رصاصات على مَنْ في الشارع بعشوائية، وقبل أن يفرغ مسدسه تخترقه طلقة من مكان مجهول.

كتب المشهد بدقة.. صوّر كل تفاصيله.. وضع للحادث خلفيات.. وبعد ثلاث ساعات انتهى من الكتابة.. ثلاثون صفحة.. أفرغ فيها كل مشاعر الاكتئاب.. وقذفها إلى جملة الأوراق.. نظر إلى الرسائل.. اثنتان من كلناز – واحدة من باقر – واحدة من سليم.. مزق مظروف:

"في هذه الساعة المتأخرة جداً من ليلتي البائسة.. أكتب لك.. لتسمعني.. وحدك ولا أحد غيرك في العالم كله أكتب إليه حرفاً واحداً.. لا أحد يسمعني حتى لو صرخت

بأعلى صوتي في مكبرات الصوت.. كنت أبحث عن شخص واحد أقول له كل شيء حتى لا أختنق.. أحس بعزلة قاتلة.. أرجوك أنقذني.. لماذا لم ترد على رسالتي الثانية.. إنني أبحث عنك مؤلمة أحوالي النفسية وأنت لا ترد عليَّ.. عرفتُ بأنني منبوذة حتى من ذاك الشخص الذي لم يسبق له أن رآني أو كلمني. أرسل إليك صورتي.. أرجوك أكتب لي"

"كلناز"

قرأ الرسالة سبع مرات.. تأمل كل كلمة.. غيرّ أماكن الكلمات.. كتب مرادف كل كلمة.. ووضعها بجانب كل واحدة كلمة أخرى تناقضها.. كبر حجم رأسه.. أحس بإنهاك تحت الثقل.. وضع الرأس على الأرض.. وتمدد.. أين يقودك التأمل يا راجي..؟ إلى صحارى مزروعة بأشجار الشربين.. إلى حدائق بلا أشجار.. إلى فراغ العالم اللا مرئي إذا رفضتَ العالم فاعلم بأنه أيضاً يرفضك.. وإذا استقبلته.. فهو أيضاً سيستقبلك.. إنه بحاجة إليك وأنت بحاجة إليه.. أنت ترغم هذه الحالة على دمك.. كن حذراً يا راجي.. أي شيء تريد من العالم.. ضع لنفسك طريقاً وسر به.. أنت ضائع.. ستنتصر على أهوائك أولاً.. وستنضج على نحو أفضل.. في السنوات القادمة.. ستتفهم الحياة.. وتنسى التوتر.. اعتد على مواجهة هذه الحالة لا تستخدم أقراصاً مهدئة.. إرادتك هي الدواء.. حساسيتك تنعكس على وضعك الصحي.. وجسدك لا يحتمل بسبب سوء التغذية.. تخيل للحظات فقط كلناز.. انظر إلى صورتها الرائعة.. المرأة تعرف الطريق إلى قلب أي رجل في العالم.

هاهي امرأة تدخل حياتك.. وتفرض نفسها على تفكيرك.. ما الحزن.. ما الفرح.. ما الكآبة.. ما الاستقرار.. ما التوتر..؟.. كن أوعى يا راجي.. رأسك الكبير هذا هو مصدر كل هذه الحالات.. إنه المركز.. المصدر.. لماذا تريد أن تعطّل القسم الخاص بالتوتر.. أو القسم الخاص بالكآبة..؟؟.. هل تريد أن توقف الجملة الخاصة بالضحك..؟.. الجملة الخاصة بالحزن تتغذى من جملة الفرح.. وجملة الضحك تتغذى

من جملة البكاء.. هل تريد أن يتوقف عمل الرأس.. إذن.. اذهب حالاً إلى المشفى ليخدروك ويضعوا جسدك في براد الجثث.. أو اقطع رأسك الآن.. وسينتهي كل شيء.. أنت مجنون يا راجي.. أنت أحمق.. أنت تمر في حالة تكوين فكري.. لا تكن مغروراً.. أنت المجنون الأول في هذا العالم.. أتريد أن تتحول إلى حيوان ولا يؤثر فيك أي شيء يحدث لإخوانك.. أتريد أن تتحول إلى مخلوق عديم الحساسية.. انظر يا راجيي.. أقترح عليك أن تستمتع بهذه الحالة قبل أن تنتهي.. أسرع..ستنتهي بعد لحظات.. ولن تلحقها.. احترم "حالة" تتعلق بك أنت وحدك.. واحتفل بها.. هاهي تذهب.. أسرع يا راجيي استمتع بما تبقى منها، هذه هي الحياة الحقيقية التي كان الماضي كله تمهيداً له.. انهض الآن في هذه اللحظة واكتب لكلناز.. اكتب لها عن أفكارك واكتشافاتك.. هيا يا راجي.. وحدها "كلناز" ستعرف كل شيء.. وحدها كلناز ولا أحد غيرها.. كلناز.. يا للاسم الرائع.. كل حرف ينبض بالشمس والحياة.. اكتب لها بحرية.. ودون قيود.. وأعط الرسالة للموظف ليضعها فوراً في علبة بريدها.. وانظر في العلبة.. لتتأكد من دخولها.. هيا يا راجي.. اصنع امرأة واحدة بأفكارك.. حاول أن تخرج إلى الحياة العملية.. ستصنع امرأة من لحم ودم بأفكارك.. امرأة واحدة تكفي.. وعندما تنجب أطفالاً ستغرز في عقولهم أفكارك.. ويبدأ عالم جديد أنت نؤسسه يا راجي.. اصنع امرأة من / لا امرأة /.

هيأ راجي عبد الكريم نفسه وباشر في الكتابة.. أول رسالة طويلة يكتبها في حياته.. مضت الساعات.. تراكمت الأوراق.. وما زال مستغرقاً في الدرس الأول.. يكتب بجدية.. ويمزق صفحة كاملة إذا أخطأ في كلمة واحدة.. يكتب بأناقة وبخط واضح مقروء.. ست ساعات مضتْ وفرغ راجي.. نظر إلى الأوراق.. حملها وعدّ ثلاثين صفحة.. دسها في مظروف كبير.. وكتب العنوان..

أتدرك يا راجي خطورة ما أنت مقبل عليه..؟؟.. أي أحمق أنت.. أتدرك إلى أي وادٍ ستوصلها أفكارك..

- وحدها كلناز.. كهدير الطائرة.. كصدى تخترق جداري.. تبللني أمطارها حتى وأنا تحت السرير.

لدى عودة السيد راجي من مبنى البريد فوجئ بكيس أسود في منتصف الحوش.. أخذه إلى الغرفة.. وفتحه.. سحب ورقة.. "الليلة سأجيء.. زوجي مسافر.. انتظرني.. سأنط من فوق السطح"

عاهرات منتصف الليل.. قالها وقذف الورقة.. وقفزت إليه عبارتان واحدة لكناز والأخرى له

- لماذا تصر على ألاّ نلتقي ؟.

- لأن اللقاء يغتال الشوق

امرأة يا راجي تدفئك.. وأحس برعشة شهوانية تسري في قلبه: زاهية.. ستجيء.. إنها ناضجة.. ستدرّب جسدك على الجنس.. ستعلمه أصول العشرة بين الرجل والمرأة.. نهض من فرشته وأشعل المدفأة.. زاهية التي تسرق من بيتها وتعطيك، حتى قطع اللحم تلفها في كيس نايلون وتقذفه إلى بابك لتفتح الكيس وتأكل.

فتح الباب وخطا باتجاه الحائط الفاصل وقف ورأى يدها على الحائط.. هرول إلى الغرفة.. حمل الطاولة وضعها بجانب الحائط واعتلاها..صار على مقربة منها.. أعانها في رفع جسدها.. وضعت الساعدين على أعلى الحائط.. وبغتة اندفع جسدها إلى الخلف وسقطت على الأرض.. نظر إليها: ماذا ؟.

- تزحلقت.. أجابت دون صوت

ورفع جسده إلى الجدار.. انقلب إلى الجهة الأخرى.. رفعها من الوحل..وحملها من الخلف.. فصعدت.. وببطء نزلت إلى الطاولة.. رفع هو الآخر جسده وبدأت تعينه على رفع جسده.. نزلت هي.. ووقف على الطاولة.. أمسك بيدها.. ودخلا الغرفة.

بدأت ترمي قطع الثياب الشتائية وتقترب بيديها من المدفأة.. وهو ينظر إلى مشهد امرأة تتعرى في بيت غيرها، قفزت عباراتها إليه: إنه لا يمل النظر إلى

عورتي.. لقد أدمن هذه العادة التي تضايقني، في منتصف الليل ينهض كالمجنون ويشعل الضوء.. يكشفني ولا يهدأ حتى تنام نظراته على عورتي. عندما يعود إلى البيت ويراني منشغلة في المطبخ يهرع كالمجذوب ليرفع ثيابي وينظر، وإذا منعته يصير مثل المدمن.. لا يهدأ قبل أن استرخي له. في العيد الماضي ذهبتُ إلى أهلي.. وفي اليوم الثاني قاده إدمانه إلي.. وهناك أغلق باب إحدى الغرف وصار يأخذ جرعات نظر.. لم يحتمل أن يعيدني إلى البيت.. لا تقل لأحد هذا الكلام.. أخاف أن يسمعه فيعرف بأنني قلته.

ولكن راجي دس جسده تحت اللحاف قائلاً: عندما تخرجين أغلقي الباب.

وقعت العبارة كالرصاص على أذنيها وعادت ترتدي ثيابها التي خلعتها للتو وخرجت مستفزة وهي تصفع الباب خلفها، عند ذاك سمع صوت الطاولة.. نهض رآها منقلبة على ظهرها في الوحل.. مد يده إليها.. ورفعها.. وقعت كفه الأخرى في كفها.. ووقفا في عتمة الشتاء ضغط على كفها برعشة خاوية من أي قوة.. واندفعت إليه.. ألصقت خدها بخده.. وعادا إلى الغرفة مرة ثانية.

قالت له: اخلع ثيابي..

واستجاب لها..

أي شيء آخر تريد يا مجنون..

قال: ممن ؟؟

قالت: من الحياة..

قال: هل تفهمين الحياة

قالت: الحياة هي الطعام الطيب.. والجيب المملوء.. والفراش المجوز الدافئ هذا كل شيء في الحياة..

قال: المعرفة ؟؟

أجابت: المعرفة هي السبيل إلى رفاهيتك.. وعندما تكون مرفهاً لستَ بحاجة إليها..قادته إلى الفرشة.. وخلعت ثيابه..

- دعني أقبلك يا راجي.. يبقى الشاب الفتي يغري المرأة مهما كبرتْ..

- ماذا تنتظر يا راجي ؟؟.

- لا أنا أفكر..

وبدت له متدربة جيداً.. وصار كتلميذ يتلقى تعليماتها: "لا تقذف"

وامتنع عن ذلك..

سينتهي كل شيء.. همست في أذنه. أحس بنشوة العالم تجتاحه.. هاهي الحياة تمنحني أعظم ساعات اللذة.. مفهوم زاهية للحياة فيه الكثير من الصواب..

أي فعل آخر يقضي على إحباطاتي مثل هذا الفعل السحري.. هذا الذي من عادته أن يطفئ حرائق الروح.. جسدي كله يتفتح في حديقة الجنس.. وهذا الذي بين ساقي زاهية يفتح بابه المبارك ويناديني كلي لأدخل.. في لحظة حسدتُ ذكَري.. وهو يتجول في تلك الحديقة البهية.. وخطر لي أنني كلي كنت ذات يوم في تلك الحديقة التي بصقتني ولم تعد تستقبلني.. وخطر لي مرة أخرى معنى هذا التلهف للجنس.. فيه يتحقق الحنين إلى الماضي.. إلى شهور التكوين ورأيتُ أعضائي كلها تزحف نحو المملكة عن طريق الذكر.. وتلتف حوله واستطاع أن يمتص كل أعضائي ويُدخلها إلى المملكة المقدسة.. عدتُ إلى موطني.. إلى مسقط التكوين.. وتشبثتُ بكل ما وقع بيدي.. وصرختُ من موطني: يمكن لكِ أن تعودي إلى بيتكِ.. أما أنا فلن أخرج يا زاهية.. لن أخرج من دفئي الأبدي.. سأكون هنا.. اختبئ في زاويتي الآمنة.

سدّت أنفها بإصبعيها موجهة الصوت إلى الداخل: انزل..سينفجر بطني.. هكذا تتعبني.

وجاء الصوت من الأسفل: وماذا سيغريني.. بعد أن رأيت النزول وعشته.. أكثر من ربع قرن. وكنت كل يوم أتوق إلى شهوري التسعة الحافلة الآمنة هنا.

- ولكنك ستقتلني.. سأخرج الآن إلى الشارع وأصرخ حتى يلتم الناس. فأقول بأن رجلاً جاء يركض مسرعاً صوبي وفجأة رفع ثوبي وحدث ما ترونه الآن.

قال: لن أخسر شيئاً.. حتى لو أجروا آلاف العمليات الجراحية لبطنك لن أنزل. هذا هو موطني.. موطن آبائي وأجدادي.. مسقط التكوين.

وأمام عناده استلقت زاهية على ظهرها في فرشته ويدها تربت على بطنها وشفتاها تتمتمان تحت عينيها الناعستين: هيا اخرج.. اخرج.. ما أروع الحياة..

هيا اخرج.. اخرج.. سأشتري لك ثياباً جديدة وحلوى.. وألعاباً..

هيا اخرج.. اخرج.. ستشاهد ضياء الشمس وتخلص من الظلمات.

اخرج يا حبيبي اخرج.. الربيع في انتظارك.. الورود تتفتح.. البلابل تغرد في حياتك الجميلة..

هيا اخرج.. اخرج.. لترى كل هذه الأنهار.. والبحار.. وتتسلق الجبال.

هيا اخرج.. يا حبيبي.. حياتنا بهية كحلم سأغسلك وأطوف بك العالم..

هيا اخرج.. كل ما في الحياة جميل.. ليس فيها ألم.

وانغلقت عيناها.. وتوقفت شفتاها عن التمتمة. استفاقت على ضوء النهار.. تلمست بطنها.. رفعتْ رأسها. رأته يقبع في زاوية والدماء تنز منه.. كأنه خرج للتو من برك دم.

كلناز آخر حلم يتحطم.. لا فائدة يا راجي.. يبدو بأن الألم لن يتركك..أحذر أن تمس كلناز بكلمة سوء.. هي الشخص الوحيد الذي بقي لك في الخارج.. دعها في الحلم.. إلى الأبد.. دوماً الحقيقة تحمل معها شيئاً من الفساد.. وحده الحلم يبقى نقياً.. وحده الأعمى يرى الأشياء الجميلة التي لا يمكن لك أن تراها بعينيك.. وعندما يقدموا لعينيه العلاج.. ستفسد تلك الأشياء الجميلة وتبهت الألوان.. وتجشع الأصوات

وعندما يفتح عينيه لأول مرة سيرى الظلام الحقيقي الذي لم يره من قبل.. وعندئذ إما أن يعوّد عينيه على هذا الظلام ويوهمهما بأنه نور، أو يفقأهما في أقرب فرصة ليعود إلى نوره الأبدي.

مرة أخرى يحتلك البؤس وأي بؤس يقتلعك من جذورك لا يخنقك ولا يدعك تتنفس. هاهو الشقاء يعود على ما يبدو أنك ستدفع ثمن لحظات اللذة تلك، تُرى هل تتألم زاهية مثلك هل تدفع الثمن؟ لا أصدق ذلك أبداً إنني أكاد أسمع شخيرها.. يا إلهي أي شيء أصابني؟!.

أحس بالجدران تحاصره..فتح الباب وخرج .. أحس بالحوش يحاصره.. خرج إلى الشارع.. ولم يرتح.. بدت روحه تتفرغ في حلقة.. "إنها النهاية" قالها راجي وطرق أقرب باب.. طرق بقوة.. إنه بحاجة إلى أي شخص يحدّثه.. إلى أي حيوان..إنها اللحظات الأخيرة: مَنْ.. مَنْ.. جاء الصوت من خلف الباب.. هبط قلبه وتراجع إلى الوراء: مَنْ.. مَنْ.. لحقه الصوت وتراجع إلى الوراء..دخل باب الحوش.. وأغلقه بصمت..

نظر إلى الساعة كانت الرابعة فجراً.. بدت له الفرشة على شكل كفن.. طوى الصفحة التي كتبها إلى كلناز.. دسها في مظروف.. ارتدى ثيابه وخرج، في تمام الساعة السابعة والنصف صباحاً كان يضع الرسالة في البريد بيد مرتعشة.

أصبحتْ الحياة جحيماً لا يطاق.. فقدتُ القدرة على المقاومة.. أعاني حتى من قطرة ماء أجرعها.. من كسرة خبز تبدو كالشبح أمام فمي.. من خطوة تبدو مرعبة وتهبط بي لأعماق بئر.. من لحظات الاستلقاء.. وتكبر معاناتي لحظة بعد لحظة ولا شمعة أمل واحدة في عالم ظلمات يحيط بي.. أي مخلوق أنا لأحتمل كل هذا الجحيم.. ولأجل أي شيء احتمل.. إنه صراع مخيف.. مهلك.. لكن سأكون عنيفاً في مقاومته.. وكل ما أستطيع أن أفعله في عنفي هو قدرتي على مدى إقناع نفسي بالانسجام مع

هذا الجحيم ومحاولة فعل شيء من خلاله.. هذه هي خطوتي الأولى للتخلص من وطأة ثقله على كل لحظات عمري.

- ما تزال تتعلم.. إنك بحاجة إلى أن تتعلم..

- لكن أخطائي لا تنتهي.. وهذا يؤلمني

- الأخطاء التي خفتها، بنتْ أركانك لبنة لبنة عندما لا تخطئ فإنك لن تصيب، ما يفيد أن تكون قادراً على تمييز الصواب من الخطأ.. والشر.. كل الشر أن تفقد نظرة التمييز.. أن يستولي الخطأ على مفهومك.

أنت لستَ مُطالَباً من أي جهة كي تكون بلا خطيئة.. ولكنك تتعلم من تلك الخطيئة وتمدّ الخطوة نحو المعرفة.. كلما تخلّف خطيئة.. تنكشف أمام روحك خطيئة.. حتى إذا علمت أنك لن تبلغ آخر خطيئة ولن تبلغ آخر المعرفة.

- إن خوفي يتضاعف على المستقبل

- الذي أتى بالإنسان، فإنه لا يتخلى عنه.. الإنسان استطاع أن يصنع أشياءً طيبة.. لقد أثبت بأنه يجيد الغناء وزرع الورود.. إنه مخلوق قادر على أن يجب أكثر مما يكره.. أن يسامح أكثر مما يعاقب. للإنسان صاحب، إنه ليس مخلوقاً ضاع من صاحبه في كوكب مجهول.

عندما تمتدّ يدٌ لتؤذي شخصاً فإنها لن تصل قبل أن تؤذي صاحبها أولاً.

عندما تمتدّ يدٌ لتعين شخصاً فإنها لن تصل قبل أن تعين صاحبها أولاً.

إن الإنسان أسمى من أن يُخاف على مستقبله، لكن عليك أن تروّض نفسك على تحمّل المصائب الكبرى.. أن تتوقع على الدوام ما لا يمكن له أن يقع.

ستبقى نفحات الحياة في العروق هي المدهشة سيكون بإمكانك أن ترفع نظرك إلى أعلى سماء سيكون بإمكانك أن تغوص بنظراتك إلى أسفل أرض سيكون الألم لبنة الحياة ستكون كل تلك الذكريات قوائم بيت بنيته بطين الروح. ستضحك يا راجي لكل ما يهتز من حولك وفي ذروة انسجامك مع التفاصيل النابضة ستدرك أنك نضجت تمام

النضج وسترقص بسرية في ظلمة لا تنتهي وبرغم كل ما سيكون ستبقى علاقتك بالحياة هي العلاقة الأكثر إثارة الأكثر دهشة الأكثر عمقاً.

تلك الحياة التي لن تعود، هنا بإمكانك أن تفعل كل شيء وهناك عندما تنطفئ لن يكون بإمكانك أن تفعل شيئاً.

لكن هل يمكن لموت الأم بهذه الطريقة أن تولّد كل هذه الحساسية في حواسي سأبقى أحن إلى ذاك الصوت الذي لن أسمعه أبداً سأبقى أحن إلى ذاك الرسم الذي لن يعود.

كل طفولتي مختبئة في نهديها كنتُ أرضع منهما الحليب وأودع فيهما طفولتي هل ستموت كلماتها التي كانت تقولها لأبي في ليالي الشتاء البادرة هل ستموت تلك الطقوس الزوجية الحميمة التي كانا يصنعانها سأتذكر حتى التفاصيل الصغيرة في ذاك البيت المنسي الذي كان يشبه العالم المغلق، كانت تقول: يا بدران عندما لا أحترم طقوسي الدينية فإنني لن أحترم طقوسك وعندما أخلص لمعتقدي فإنني سأخلص للحياة الزوجية معك، يوم الأحد مقدّس لدي، هو اليوم الوحيد في الأسبوع الذي يحمل اسم الله ألا تظن أن الأشياء التي تحمل اسمه تكون مباركة، الأديان الطيبة هي التي تربط الناس جميعاً، المحبة السامية هي التي تجمع الأديان ولكن الكراهية تفرق بين أبناء الدين الواحد، ألا تؤمن بأن الله هو الأحد فلماذا لا تحب يوم الله.

وكانت تردد له آيات من القرآن وأكثر ما ترددده: "إن اللذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون".

وتقول: يا بدران إنك لن تكون مسلماً قبل أن تكون مسيحياً لن تكون مسلماً قبل أن تشهد أن عيسى رسول الله.

راجي..

اليوم في الثامنة صباحاً فتحتُ عليه بريدي ووجدت رسالتين منك واحدة وقعت في ثلاثين صفحة والثانية في نصف صفحة وأصارحك أنني للهفتي إليك قرأتهما داخل مبنى البريد ولم أصطبر لحظة واحدة بعد أن وقعتا في يدي وحتى الآن وقبل دقيقتين قرأت الرسالة الطويلة للمرة الرابعة والقصيرة للمرة السابعة وكلما ملأتني الطويلة بما لم يسبق لي أن تخيلتُ تعلّمه لا منك ولا من غيرك ولا حتى من عمري كله، جاءت المبتسرة لتصفع كل حواسي وتلغي الذاكرة والحلم، رسالتك الطويلة التي يبدو لي أنك حرصتَ عليَّ كثيراً حتى قدّمتَ إلي خبرتك في العيش لتعلّمني هذا النمط وأنا سأظل مدينة لك وسأواصل قراءتها بعد أن أجعلها كتاباً صغيراً مجلداً في أحلك ظروف قلقي وبالنسبة للاسم لا يهمني إن كان اسمك راجي أو عبد الله أو رقم علبتك أنا واثقة بأنني كنت أبحث عنك. وليس بالضرورة أن يأتي الصواب من الصواب، قد يكون العكس ويولد الصواب من الخطأ أريد أن أتحدّث معك عن عزلتك التي أحببتها بقدرك أرجوك أن تحقق لي هذه الرغبة وتعتبرها مطلباً إنسانياً أو حتى شخصياً وتتمكن من الاتصال الهاتفي بي على رقم منزلي المدوّن في أسفل الصفحة.

في أمسية اليوم التالي وقف السيد راجي عبد الكريم أمام كوة الهاتف الداخلي دس قطعة معدنية في أعلى الجهاز وأدار القرص بحركة متواصلة جاء صوت فقال بسرعة: أريد كلناز.

أجاب الصوت: أنا هي

صمتَ راجي واعتراه خجل وأحس برغبة عصبية في وضع السماعة مكانها لكن الصوت لم يدع له مجالاً حينما تواصل: مَنْ.. راجي كنتُ بانتظارك أقسم لك بمقدساتي هل تصدقني.

- الليلة ؟

- نعم وفي هذه اللحظة.

- كيف ؟

- هناك من أعلمني بدون صوت ولا رؤية، أنا واثقة وصدقته، منذ نصف ساعة ونظري في الهاتف ولو لم تتصل الليلة لما اتصلتَ بي أبداً أو لم أكن أصدق بأنك ستتصل.

- أنا أتمزق أعاني حتى من قطرة الماء التي أبتلعها أتألم حتى وأنا في الفراش.

- راجي أنا أتمسك بحجم معاناتك، عظمة الحياة في قاعها في درجتها السفلى وبالنسبة لي أرفض صعود نصف درجة إلى الأعلى الذي يعيش في الأعلى يدوس على الأسفل إما أن يكون في الأسفل معنا أو في الأعلى فوقنا، هؤلاء الذين يشبّهوننا بالحشرات عندما يكونوا في سياراتهم ويروننا نذهب إلى أعمالنا سيراً نكون لا نملك ما ندفعه لسيارة النقل الداخلي إذن نكون كالحمير فيملأوننا بالغبار صيفاً وبالوحول شتاءً، نحن تراب الأرض ونحن الأرصفة نحن الطين أتسمعني يا راجي، إذن تكلم.

- بردان جسدي كله مبتل بالبرد على ما يبدو بأنني الوحيد الذي أدفع ضريبة قبول الله لدعوات المزارعين بهطول المطر عندما يقبل أنا الوحيد الذي أكون الضحية.

في هذه العزلة أطفئ أيامي كما يطفئ الإطفائي النار التي تأكل بيته. لقد فقدتُ كل شيء يا كلناز شيء غريب لا يوجد حل وسط في هذا الواقع إما أن تخسري كل شيء،، وإما أن تربحي كل شيء وإن ربحتِ كل شيء خسرتِ وجودك في هذا العالم السافل!!.

- وهل هناك أسمى من أن يربح الإنسان وجوده في عالم منهار.

- ولكنني أدفع ضريبتهم كلهم، أدفع ضريبة هذا الموت الغير طبيعي. عندما يقتنع الميت بأنه مات تموت المشكلة ولكن المشكلة الكبرى أن هؤلاء الموتى لا يعرفون بأنهم موتى، إنهم لا يتركوننا سالمين، حتى في دركنا المظلم، يأتون في

منتصف الليل ويحطمون أبوابنا يركلون ظهورنا في الطرقات ويرغمون علينا أن نغسل وجوهنا ببصاقهم وأجسادنا ببولهم.

كلناز اسمعيني هناك توجه شبه عام للاهتمام بكل ما هو منحط وانهزامي ومنهار، الذين يضحكون على الجميع يبحثون عن الذين يباركون لهم هذا العمل اللا إنساني يركزّون على المشاهير والشخصيات اللامعة ليباركوا لهم هذه الأعمال. كل شيء يُضحك ويُبكي ويُسخط. أنا لستُ راضياً عن كل ما يحدث ولكنني لا أستطيع أن أفعل شيئاً سوى أن أدين ذلك بالكتابة. لكن يبدو لي أن الكتابة وحدها لا تكفي هذه اللعبة.

وبغتة انفصل الخط، للتو عرف السيد راجي بأنه يقف في منتصف السوق ويتحدث في هاتف عمومي مدّ يده إلى شق الباب ورأى ثلاثة رجال ينتظرون خروجه.. أقفل السماعة وخرج دون أن ينظر إليهم.

في البيت استطاع أن يقنع نفسه بنسيان اسمها وعدم الرد عليها وخلال ستة شهور يتسلم رسائلها ويمزقها قبل أن يفتحها وفي الشهر السابع تلقى رسالة مضمونة في ظرف كبير، عندئذ عاد إلى البيت وبدأ يقرأ:

راجي يا إلهي حتى الهواء يخنقني كم يبدو ثقيلاً على نفسي إنها المرة السابعة ولا جدوى حتى القلم يأبى أن يسير هادئاً أصبحت الكتابة إليك تخيفني كثيراً ياه "إليك" منذ سنتين ونحن نتراسل غرست في رأسي أفكاراً لن تمحو رغم إصرارك القاتل على عدم اللقاء إلى أي درجة قد نسيتُ نفسي إلى أي درجة تخليتَ عني لم يعد هناك ما يشجعني حتى الكتابة إليك، الآن أدرك ذاك السر الذي يسعى إليه الآخرون كم كنتُ مغفلة نسيت أن دماء الميت المتجمدة في عروقه لا تعود فتسري فيها الحياة بعد موت مؤلم أفكر الآن كم سأعيش، مرحلة زمنية واحدة لا غير هاأنذا في العشرين وتغدو الوردة أكثر ذبولاً والشموع في ريعانها تنطفئ قبل اشتعالها بالوهج،، عشرون عاماً سيغدو عمري أسقطتُ الزمن الفائت لأني هكذا وبلا مسوغات لم أعشه ألا يحق لنا أن

نرفض زمناً لم نعشه ما الذي يجبرنا على الاعتراف بسنوات كل ما فيها محل وجفاء تخاصمني أنت الآن كالزمن وقد حلفتَ بعمري ذات مساء ألا نفترق لماذا.. لستُ أدري.. كانت سنوات سوداء لم نر فيها غير الرماد والفجيعة وصرخات الألم والشوق. رغم سعة معانيها التي نفتقدها اليوم كنتُ أقول دوماً: لحظة واحدة إن ضاعت من عمر أحدنا فكنوز العالم وسنوات الدهر لا تعوضها فكيف إذن أرجع سنوات إلى الأمام، مَنْ أعطى الزمن هذا الحق في اصطياد الحياة، تذكر في تلك الرسائل المنسية ما كتبناه وما استمعنا إليه من موسيقى وما تبادلنا من هدايا وبطاقات وصور أتذكر حتى الثياب كنت تضعها في صندوق بريدي رغم حجمها اللا معقول كنا نخاف أن تضيع لحظة منا دون أن نقرأ رسائلنا وكنا ندرك أنها كالتراب في فراغات الأصابيع لا يبقى إلا للمحة بصر ويتلاشى مع نسمة صغيرة رغم هذا كان الأمل عالماً بكامله، جبلاً، أين هي تلك اللحظات المشرقة00 ضاعت، ماتت، هل أنا أفكر بها الآن.. أؤكد لك أني لم أعد أفكر لم أعد أقرأ رسائلك هل هناك سعة لأن أحب أحب من..؟!!

هناك الكثيرون في الشارع في الحي خلف زجاج السيارات يمدون أعناقهم يتغذون بوجه بريء لم يمر الصباح ببكارته عليه فيغسل عنه طفولة محببة هؤلاء يسرقون البكارة مثلما يسرقون الخبز والنبيذ والصلوات، بدأتُ لا أكترث لشيء، إنكسار هائل في روحي لا يرحمني طوال الليل، يجلب ليَّ أوجاعاً، لا أقدر على النوم، إنني أعيش مرحلة انكسارات كل شيء ينكسر حتى الرأس والقلب. هل كنتُ أحلم.. لا أصدق أن وسادة ما تحتوي على دفء حلم واحد يخصني في هذا البيت أذكر أن نشوة خاصة كانت توقظني ما بين أسبوع وآخر المهم كان هناك شيء جميل حتى رسالة توبخني بها كعادتك ما أزال أشعر باللذة المباغتة حين أتوهم انتظارها، أذكر حين كنت تملأ حياتي تسحقني من جذوري واستوليت على كل لحظة من تاريخي ومستقبلي أنا لا أستطيع أن أنساك للحظة واحدة وكم حاولتُ أن أنظر إلى رجال،، أن أجد البديل

لكنني فشلت /وأصارحك/ أنني راغبة في الانتقام والرد وأؤكد أنه يوجد من يحقق لي هذا لكنني عاجزة، كل شيء سيموت دونك حتى لو ربحت العالم، حتى الدفء سيمسي صقيعاً ما أجمل الوهم حين تعتنقه الأيقونة، يا لرائحة دموعي التي تحترق على المدفأة رائحة احتراق الروح الآن أتحاشى حتى النظر في وجه ما قد يذكرني بحلم كبير، أتحاشى النظر في عَيني المرهقتين وما تحتهما من ظلال تجمعت بفعل فقر الدم أتحاشى القلم لأن فيه ماس يكهرب روحي يذكرني بأول مرة حين راسلتُ شاباً اسمه "عبد الله" وولد مجنون اسمه "راجي" تلك الرسالة الذكرى اتحتفظ بها بربك كم أنا مشتاقة لها سأنظر إليها فقط وأبكي ساعة هل تحتفظ بي يا راجي وبرسائلي يبدو أني أهلوس لا عجب في ذلك فأنا لا أجيد سوى الكلام الذي يشبه الثرثرة القاتلة هي حالة الصمت المطبقة وقلة الهواء في الغرفة تسبب كل هذا الاختناق في صدري وحنجرتي، هل أبحث عن أصدقاء جدد عن علاقات أخرى لقد أصبح هذا كريهاً على نفسي ما أفعل إني متضايقة، وأحس باختناق هل سأرى صباحاً جديداً لا أدري إن كنت سأرى الشمس ثانية تسطع في سمائي الغيوم تتكاثف وتستعد لعقد مأتم رهيب.

بعد أن تنتهي احتفالات العالم يبدأ احتفالي بعد أن تنطفئ مصابيح الكون يشتعل مصباحي وبعد أن تقرر الموسيقى الراحة تشعلني ألحاني وتضرم الحريق في المخيلة. هل أمضي عكس العالم أم هو يناقضني، هل أن مسبوت أم هو، هل أنا يقظ أم هو؟؟.. أنا خائف لأول مرة من أشياء لا أريد الوقوف على حجم جحيمها.. كلناز بمقدورها أن تهز الصدى بأنوثتها ربما أحتاج إلى لمسات أنثى تهندسني ترغم عليَّ وقائع لا أعرفها الآن، وقائع تولد مع ولادتها في عزلتي الأبدية الرائعة التي تمنحني كل أسباب التواصل ليس بوسعي أن كون مشمساً طوال الوقت ولا مظلماً إنني جزء من الحياة ويموت جزء منها عندما أموت مثلما ولد جزء عندما ولدت.

في لحظات ما يمكن للإنسان أن ينسى كل شيء أن يتخلى عن أحلامه التي تبدو قزمة أن يحطّم كل ما يقع تحت يديه وقدميه وجسده من أجل التمسك بشيء ما هذا الشيء ليس بوسع أحد أن يطلق عليه تسمية واحدة، وبوسع كل شخص أن يطلق عليه اسماً يعنيه أي اسم يخطر بباله. ما يهم أن هذا الاسم يحسسه بالمعنى. لحظات ما من عمر هذا الإنسان بمقدورها أن تحطمه بمقدورها أن تبنيه بمقدورها أن تحيله إلى مجنون، بمقدورها أن تجعله عبقرياً بمقدورها أن تحرك عالماً من الصقيع وتضرم فيه النيران، وبغتة يتحول هذا الشيء إلى القضية.. قضية الإنسان الكبرى ويستعد للتخلي عن العالم كله في سبيل الوصول إليها وحتى في سعيه يشعر بالانتصار على الفراغ القاتل واللا جدوى يشعر بالانتصار على الحياة كلها، عندئذ فقط يستيقظ فيه كل ما كان نائماً ويشتعل بالحياة ويدرك كم كانت حياته فارغة.

قذف راجي عبد الكريم الرسالة وارتدى ثيابه حلق ذقنه، لمّع حذاءه، أشْعل المذياع والكهرباء وكل ما يمكن أن يشْتعل في الغرفة وفيه وخرج.

ساعة العصر هذه تبدو أثمن ساعة، الشوارع تكتظ بالناس والحيوانات الصغيرة قطط.. دجاج.. عصافير.. وثمة عجائز تحت الشمس بالقرب من الحيطان الترابية المائلة التي تكاد تسقط.

الآن بوسعك يا راجي أن تدرك قيمة الحياة وتكتشف أسرارها وتنظر إلى كل هذه المناظر بفرح العالم الحياة على صواب بشكل دائم لا بد من كل ما تراه إنك تتعلم حتى من دبيب نملة وصوت عاهرة وقديسة.. كل مخلوق يقدم الحياة بطريقته.

السيرة الذاتية للكاتب

عبد الباقي يوسف
روائـي وقاص ســـــوري
عضو اتحاد الكتاب العرب
عضو جمعية القصة والرواية السورية

صدر له في مجال القصة القصيرة :

1- سيمفونية الصمت – قصص –1989
2- الحب في دائرة العبث – قصص – 1991
3- طقوس الذكرى – قصص – 1992

وفي الرواية :

1- بروين - 1997
2- جســـد - 2003

- فاز بجائزة / المبدعون / للرواية العربية في الإمارات عام 2002 بروايته "خلف الجدار"
- جائزة نادي الطائف الأدبي للقصة القصيرة 2003

العنوان كاملا :

الجمهورية العربية السورية

محافظة الحسكة – ص ب 267

هاتف : 0096352367462

خليوي : 0096394384267

البريد الإلكتروني : a-osso@scs-net.org